اللغة مقدرة عقلية:

تقدم تشومسكي

ب. هـــ. ماثيوز P. H. Matthews

وفجأة يظهر تشومسكي كنحوي لامع وفيلسوف لغة هام . أما بوصفه نحوياً ، كان له تأثير عظيم على فهمنا للنحو الإنجليزي، طبيعته وطبيعة بعض التراكيب المعينة فاق تأثير أي عالم حتى الآن، ويستمر في إظهار مقدرة عجيبة في الكشف عن مشكلات وتعميمات جديدة فشل سابقوه فشلاً ذريعاً في ملاحظتها. أما بوصفه فيلسوف لغة، فهو المسؤول، أولاً و أخيراً ،عن الاعتقاد بأن اللغويات، برأيه، هي فرع من علم النفس الإدراكي، وأن الناس يمتلكون مقدرة لغوية موروثة فطريا ومستقلة عن مقدرات العقل الأخرى. ولو كانت هذه الإسهامات منفصلة لاستحقت بجدارة فصلين في موسوعة من هذا النوع. ولكنها متصلة ببعضها البعض اتصالاً وثيقاَ. وتعتمد فلسفة العقل عند تشومسكي مباشرة على فلسفته حول القواعد، حيث استخدم مصطلح القواعد في الستينيات للدلالة ليس على وصف اللغوي للغة فحسب، ولكن للدلالة على المعرفة الأساسية للتراكيب اللغوية التي اكتسبها كل متكلم منذ الطفولة، وهكذا نجد أن المسائل الأساسية في النظرية اللغوية طرحت على النحو التالي، أولا: يجب أن نسأل ما هي القواعد وما هو شكلها ؟ وما هو الشكل الذي تأخذه معرفة المتكلم اللغوية الأساسية ؟ ثانيا: علينا أن نسأل أيضاً كيف يكتسب المتكلمون هذه المعرفة في الواقع. وتعكس إجابة تشومسكي عن السؤال الثاني بشكل كبير إجابته عن السؤال الأول. ومن وجهة نظره كلاهما أساسيان للعقل عامة. ويعيد مصطلح فلسفة القواعد إلى الأذهان عنوان عمل مشهور لأوتو جيسبرسن Otto jespersen عام (١٩٢٤) وهو عالم تعاطف تشومسكي مع آراءه (١٩٧٥و ١٩٨٦ : ٢١ وما بعدها). إن هدف هذا الفصل هو تفحص تطور فلسفة القواعد عند

تشومسكي منذ بدايتها في الخمسينات إلى الشكل الذي نجدها عليه الآن، ثلاثون عاما بعد العمل الذي أذاع صيته لأول مرة.

لقد أشرتُ، بصفة المفرد، إلى "فلسفة" القواعد عند تشومسكي. ومثل أي عالم فذ آخر، فإن عمله يشكل وحدة تاريخية، يمكن للمرء أن يرى جذور أشياء يقولها الآن في مقولات قالها في مستهل مهنته في أوائل الخمسينيات. ولكن يمكن للمرء أيضا أن يتكلم، بصيغة الجمع عن "فلسفات" تشومسكي. فلم يكن فكره جامداً أبداً، كانت هناك عدة نقلات هامة لمواقع التوكيد ضمن هذه الوحدة، وعدة ابتكارات، وكثير من صياغة نظرات قديمة في حلة جديدة. وحول بعض المسائل الأساسية كموقع علم المعاني والدلالة في القواعد، خاصة، فلم يتغير رأيه مرة واحدة بل مرتين. ويشكل تتبع الاستمرار والانقطاع في أفكار تشومسكي موضوعاً شيقاً لمؤرخ نظرية لغوية. أما بالنسبة لطالب نظرية حديثة فإنها الطريقة الأفضل ولربما كانت الطريقة الوحيدة في فهمه. فلا يمكن تصنيفه ضمن منهج واحد وستكون كافة المحاولات لفرض نظام عليه عرضه للفشل مع ظهور الكتاب التالي الذي يكتبه. فهو متقلب على نحو جنوني وخصوصا بالنسبة لأولئك الذين تثيرهم تلك الأشياء. ففي الوقت الحالي، كما هو الحال دائما، فإن نظرياته تمر بمرحلة انتقالية، ولكي نفهم لماذا هي ذاهبة إلى حيث هي، علينا أن نمتلك فهماً نقدياً عميقا لخلفياتها.

لقد أشرت أيضاً إلى شومسكي بصيغة الخصوص، وليس العموم، إلى مدرسة تشومسكي، لأن مسألة تحديد وتعريف أية مدرسة دائمة أمر مشكوك فيه. ومنذ بداية الستينيات كان لتشومسكي، كما هو الحال في أي وقت، حشود من الاتباع. فقد تبنى عدد من الطلاب آراءه، وبعد نشر أطروحة قيل إنها مهمة، لم يفعلوا شيئا يذكر بعد ذلك. والبعض الآخر كان من العلماء الذين يتمتعون بعقلية مستقلة انحرف عملهم كثيراً عن عمل تشومسكي بحيث لم يبق بينهم أية اهتمامات مشتركة. أما العدد الأكبر فقد كان من المعلمين ؛ بحيث كان هناك في بداية السبعينيات نسخ مدرسية مما يفترض أن يكون تشومسكي وأتباعه قد أسسوها في الستينيات، وتحنطت هذه المعلومات على شكل مقررات جامعية بعد مرور عقد من السنوات. إلا إن المعلمين وكتبهم تركوا حيارى عندما بدا واضحا أن تشومسكي قد بدأ بداية

جديدة. وفي الثمانينيات كانت هناك موجة جديدة من الأتباع، و لم يكن بينهم وبين أفضل الأقدمين سوى حوار محدود. سنشير إلى بعض هؤلاء الأتباع عندما نتقدم بالبحث. أما في لغويات تشومسكي، فإن عنصر الاستمرار الوحيد هو تشومسكي نفسه.

يمكن تقسيم حياة تشومسكي المهنية إلى أربع فترات. أما في الظاهر فهي واحدة: فقد انتقل كشاب من جامعة بنسلفانيا عن طريق هارفرد الى معهد مساتشوست للتكونولوجيا، وبقي هناك منذ ذلك الحين. بدأت المرحلة الأولى من تاريخه الفكري في بدايات الخمسينات وتمركزت حول كتابه الأول "تراكيب نحوية" (١٩٥٧). في هذه الفترة، كان تأثير بعض المنظرين القدامى في الولايات المتحدة الأمريكية عليه قويا جداً ومحتفظاً بالعديد من نزعاتهم ومقاوماً لها بطرق أخرى. وتبدأ الفترة الثانية في منتصف الستينيات. ومع أنها كانت قصيرة، إلا إنها كانت مثمرة للغاية، ففي غضون ثلاث سنوات شهدنا دراستين حول القواعد (١٩٦٥ أ، ١٩٦٦ أ) وسلسلة متلاحقة من الاستطرادات في تاريخ اللغويات (١٩٦٦ ب)، ومجموعة محاضرات عامة وهامة (١٩٦٨)، هذا بالإضافة إلى العمل المشترك في الفونولوجيا (تشومسكي و هالي، ١٩٦٨). وتمثل هذه الفترة، للعديد من المعلقين، فترة تشومسكي الكلاسيكية، الفترة التي سماها هو نفسه النظرية القياسية في القواعد التوليدية. إلا أننا مع نهاية الستينيات، يمكننا أن نميز مسبقاً بداية فترة تلمس الطريق وتغيير الاتجاهات قدر لها أن تستمر معظم السبعينيات. وقد بدأت هذه الفترة بشكل ملحوظ تماماً بسلسلة من البحوث التقنية (جمعت في تشومسكي ١٩٧٢ أ، وتشومسكي ١٩٧٧ أ) ومجموعة أخرى من المحاضرات العامة (١٩٧٦). واكتملت مرحلة تغيير الاتجاهات في نهاية العقد ؛ وهكذا يمكننا تمييز الفترة الرابعة التي يفتح آخر بياناتها (١٩٨٦)، جزئياً، منظوراً جديداً.

سأتناول هذه الفترات بالترتيب، وهذا ليس مجرد تسلسلٍ تاريخي، ولن أتردد في الإشارة لما سبق وما سيأتي حيث يمكن رسم خطوط التلاقي أو الاتصال بين هذه الفترات .

١. التراكيب النحوية/ البنى النظمية

إحدى ملاحظات تشومسكي التي بدت مثيرة أو محيرة في نهاية السبعينيات هي تأكيـــده أن مفهوم القواعد أكثر مركزية وأهمية من مفهوم اللغة (١٩٨٠ : ١٢٦ وما يليها). ومنذ ذلـــك الحين فقد بدّل مصطلحاته: إذ سمى ما كان يعرف سابقاً بــ "القواعد’’، واستخدم في العشرين سنة الماضية على أساس ذلك، بـــ ‘‘اللغة’’ أو ‘‘لغة -I’’، (١٩٨٦ :٢١ وما يليهــا). إلا إن القواعد ليست اللغة في المحادثة الرسمية. إنها (القواعد) مجرد إحدى الوسائل التي توصف اللغـــة من خلالها عندما تكون اللغة موضوع الدراسة الأساسي. كما أن تشومسكي لم يعارض هـــذا الرأي في البداية. ولكي نفهم لماذا تغيرت أراؤه ومصطلحاته علينا أن نرجع إلى كتابـــه الأول وخصوصاً إلى الأفكار التي ورثها عن أساتذته.

ووفقا للمنهج السائد في أمريكا عندما دخل الموضوع، فقد كانت مهمة اللغويـــات الأولى أو الوحيدة هي دراسة التنميط الشكلي للوحدات. فعلى سبيل المثال: هنـــاك وحـــدة ‘‘hat’’ تعرف من خلال وحداتها الأصغر /h /، /a/، /t/ بهذا الترتيب. تجاهل معناهـــا لأنـــه ليس مهماً ولا على صلة بالبحث في هذا المفهوم للغويات. وهناك أيضا وحـــدة coat، ومـــع تجاهلنا للمعنى، يمكننا تبديل مواقـــــــع هاتين الوحدتين فيما بينهما. فيمكننا القول:

Some hats/ coats were on sale. I wear a hat / coat وهكذا دواليك. إن coat, hat تتمتعان "بتوزيع متشابه" وفق المصطلح الأساسي لهذه المدرسة ولذلك يمكننا تـــصنيفهما سوية، ونمضي بعدها لتصنيف وحدات أكبر مثـــل a hat أو a coat , These coats أو that scarf سوية ؛ وليس لأي سبب ســــــوى أنه يمكننا قولها جميعها - طارحين المعنى جانبـــاً في السياق نفسه في مثـــــل هذه الجمل: A hat would look nice. أو These coats would look nice. وينتهي وصف اللغة عندما يُقر توزيع كافة الوحدات وفق أصناف تكون عامة مثاليا.

لقد طور زيلغ هاريس Zellig Harris في كتابه (١٩٥١) هذا المنهج تطـــويراً ثابتـــاً وساعده تشومسكي نفسه في طباعته على الآلة الكاتبة (التقديم الصفحة ٥). وقال تشومسكي فيما بعد أنها هذه هي الطريقة التي تعلم فيها اللغويات (المرجـــع New Meyer: ١٩٨٠: ٣٣). ويظهر عمله الخاص ذلك واضحا وضوحاً تاماً . فقد سأل نقاد هاريس والآخرون كيف يمكن وصف اللغة دون الرجوع إلى المعنى ؛ ولكن في رأي تشومسكي إن الاعتقاد بأنه يمكن فعـــل

ذلك ''بالرجوع إلى المعنى'' اعتقاد غير ثابت و"غير مدعم بالحجج والبراهين مطلقاً (١٩٥٧: ٩٣). فقد رأى "دليلاً واهناً في أن '' الحدس حول المعنى " مفيد تماماً في التحرى الحقيقي للشكل اللغوي (٩٤)". وقد كان بحثه الخاص حول النحو "شكلياً تماماً ولا يعتمد على المعنى مطلقاً" (٩٣). وكانت النظرية اللغوية بالنسبة له، كما كانت لهاريس، نظرية علائق التوزيع.

وكانت اللغة بالنسبة لهاريس مجموعة من التعابير يمكن للمرء أن يشرع في وصف تركيبها الشكلي. وبشكل مشابه فقد نظر تشومسكي إلى اللغة على أنها مجموعة من الجمل '' (١٩٥٧: ١٣). وبناءً على ذلك يجب على المرء أن يفعل شيئين في وصف اللغة: أولهما: أن يحدد عضوية هذه المجموعة. فعلى سبيل المثال : تمتلك المجموعة "إنجليزي" بين أعضائها

that scarf would look nice, I wear a coat. وهلم جرا. ووفق مصطلحات تشومسكي تمثل هذه **سلاسل قواعدية** من العناصر في حين يمثل coat wear I a* أو scarf would nice * look that **سلاسل غير قواعدية**، وثانيهما: يجب على المرء أن يشير إلى التركيب الداخلي لكل جملة. فعلى سبيل المثال: نجد في I wear a coat أن I ضميراً صنفه تشومسكي على أنه عبارة اسمية متبوع بفعل وعبارة اسمية أخرى مؤلفة بدورها من أداة تعريف واسم. ووفقا لتشومسكي فإن "القواعد" هي "وسيلة" تقوم بكل من هاتين المهمتين. فقد احتوت على سلسلة من القواعد لتوزيع الوحدات الأصغر والأكبر . وهكذا ، يمكن لعبارة اسمية، وفقا لقاعدة محددة، أن تتألف من أداة تعريف متبوعة باسم، وإن لم يكن هناك قواعد أخرى تفيد العكس، فإن هذه القاعدة سوف تستثني إمكانية تشكيل عبارة اسمية من أدوات تعريف متلاحقة أو أسماء متلاحقة أو من اسم متبوع بأداة تعريف.

وضمن هذا المفهوم، فإن موضوع البحث الأساسي هو اللغة، والقواعد هي مجموعة من التقارير أو البيانات حولها. وتمثلت إحدى الوسائل القياسية في صياغة هذه النقطة في القول أن القواعد هي "نظريات" حول اللغات. لكن دعنا نسأل الآن ماذا تعني عبارة "معرفة اللغة ". فكما رآها تشومسكي، فإن متكلمي الإنجليزية يعرفون ما هي سلاسل العناصر التي تؤلف جملاً قواعديةً في الإنجليزية. وهذا لأنهم يعرفون قواعد تركيب الجمل، وإذا استخدمنا مصطلحاً أشاعه تشومسكي في الستينيات، فنقول لأنهم قد تمثلوا INTERNALISED قواعد الإنجليزية

ذاتياً (١٩٦٥. أ: ٨). وهكذا فإن "معرفة القواعد" هي المفهوم الأساسي، وأن "معرفة اللغة" في المعنى التقني والتعريف غير الطبيعي للغة التي بدأ بها، ، هي مفهوم اشتقاقي في أحسن أحواله. وقد استغرق فهم مضامين هذه النقلة فهماً جيداً عدة سنوات. ولكن عندما فُهمت، بدا واضحا أن تعريف اللغة هذا معقول إذا اقتصرت دراسة اللغويات على دراسة علائق التوزيع. لأنه يمكن رؤيتها ، في الواقع، كعلائق في مجموعة أو صنف من الجمل. فلكي " تدرس اللغة" بالمعنى الحقيقي عليك أن تدرس شيئا آخر. ويمكن تسمية ذلك الشيء تسمية مناسبة ومعقولة بـ "اللغة المتمثلة ذاتيا داخليا: أو لغة – I ".

سنتفحص فيما بقي من هذا الجزء فكر تشومسكي كما نراه في الفترة الأولى. فكما رأينا فقد تبع هارس في عزل المعنى عن تحليل اللغة. السبب الذي أعطاه هو أنه لا توجد علاقة تقابلية بين المعنى والشكل. يمكن للأشكال أن تختلف في بنيتها الفونيمية وأن تعنى الشيء نفسه. وبشكل معادل يمكن للشكل نفسه أن يمتلك معاني مختلفة. ولا تمتلك كافة المورفيمات معان مستقلة، ولكن تمتلك بعض الأشكال معاني مستقلة على الرغم من أنها ليست مورفيمات. لا يوجد هناك تطابق بين التراكيب النظمية مثل فعل + مفعول به ومعان تركيبية مثل "حدث – غاية" (١٩٥٧: ٩٤ وما يليها)، ولذلك يجب على القواعد أن تتعامل مع الأشكال على أنها وحدات قائمة بذاتها .

ولو كانت القواعد نظرية لغة محددة أو معينة، فإن النظرية اللغوية بدورها هي نظرية عامة حول مجموع القواعد. ولكن ماذا يمكننا أن نتوقع من مثل هذه النظرية ؟ تمثل جزء من الإجابة في أنه يجب على هذه النظرية أن تحدد الأشكال التي يمكن أن تأخذها القواعد. تألفت من قواعد، كما صاغها تشومسكي في تلك الفترة، وهي قواعد العبارات الشبجملية متبوعة بقواعد تحويلية متبوعة بقواعد صرفية-فونيمية . وقد نُظر إلى هذه القواعد على أنها تولد جمل اللغة، أي: من خلال تطبيقها كاملا، يمكن إصدار أي سلسلة قواعدية من العناصر وتجنب أية سلسلة غير قواعدية. ينبغي على هذه القواعد أن تكون دقيقة وأن تتفق مع الصيغة التي وضعتها النظرية القواعدية. وعليها أن تكون مقيدة قدر الإمكان. فقد كان الدافع الأساسي وراء عمل تشومسكي في الخمسينيات هو إظهار بعض أشكال القواعد على أنها مقيدة كثيراً. فلا يمكن

للنحو المتناه (١٩٥٧، الفصل الثالث) أن يولد كامل الجمل الإنجليزية، ويمكن لنحو البنية الشبجملية أن يولد جمل اللغة الإنجليزية، ولكن لا يمكنه أن يصنف تراكيبها بشكل مرض. ولكن يمكن للمرء أن يفعل كل المهمتين إذا تبنى القواعد التحويلية. ولكن لا يرغب المرء في صياغة قواعد تمكنه من توليد مجموعات من الجمل لا تشبه أية جمل في أية لغة إنسانية. وتمثلت بصيرة تشومسكي جزئياً، في أنه رأى هذه المشكلة على أنها مسألة صياغة رياضية ، فقد كانت القواعد أنموذجاً من النظام الرياضي. فلو تضمنت مجموعات الجمل التي يمكن توليدها بنموذج نظام (A) كافة الجمل التي يولدها نموذج نظام آخر (B)، ولكن ليس بالعكس ، عندئذ، يكون نظام (A) "أكثر قوة" من نظام (B). والمطلوب إيجاد نظرية تمتلك القوة ذاتها، - التي نحتاجها فقط - لا زيادة ولا نقصان.

ولكن يجب على النظرية اللغوية أن تزودنا بما سماه تشومسكي "مقياس التقويم". افترض أنه لدينا نمطان من القواعد، كلاهما بنفس الشكل الذي تصفه النظرية ويولد اللغة نفسها، ولكن قد يكون أحدهما أبسط من الآخر، عندئذ، فهو أفضل في هذا الصدد. ووفقاً لتشومسكي، يجب على النظرية نفسها، عندئذ، أن تميز بينهما، ولو حصلنا على وصف دقيق لأشكال القاعدة التي تسمح بها، بما في ذلك تحديد دقيق للتدوين التي ستكتب به، يجب عليها، بالإضافة إلى ذلك، أن تصف طريقة تقييم البساطة النسبية للقواعد البديلة لنفس المجموعة من الجمل. وبما أن هذه القواعد مختلفة، فإنها ستصف، جزئياً، اللغة بأشكال مختلفة. يمكن للقواعد أن تقيم وحدات مختلفة، فعلى سبيل المثال في: A hat would look nice يمكن لقواعد أن تلحق would "للتكملة" look nice، بينما يمكن لقواعد أخرى أن تقول أن nice هي "تكملة" لفعل واحد هو would like. وإن لم يكن ذلك، فإنهما سيؤسسان أصنافاً مختلفة. فعلى سبيل المثال: يمكن للمرء أن يصنف كلا من I و a hat “كعبارات اسمية"، بينما يمكن للآخر أن يتعامل مع "الضمائر" بشكل منفصل. وكذلك فسيخبرنا مقياس التقويم أي تحليل لغوي تفضله نظرية معينة.

لقد كان وصف أهداف النظرية اللغوية هذا جديداً ومثيراً للإعجاب. أما إذا استعدنا أفكار الماضي الآن، فإنه يبدو واضحاً أنه كانت هناك عدة مشاكل. فالقواعد، كما شاهدنا،

هي نظريات للغات، ومثل عدة نظريات أخرى، فقد كانت تعتمد على دليل محدد. ولذلك فقد قامت تنبؤات: وبكلمات تشومسكي، التي تردد صدى كلمات هاريس (١٩٥١: ١٣) أو هوكيت Hocket (١٩٤٨) "ستقوم أية قواعد لمجموعة عرضية من الألفاظ الملحوظة باستخراج مجموعة (يعتقد أنها غير محددة) من الألفاظ القواعدية (١٩٥٧: ١٠). وكانت كلمات تشومسكي صحيحة إلى الحد التي كانت تنبؤاتها حول ما هو قواعدي وما هو غير قواعدي صحيحة. ولكن لدينا على رأس ذلك نظرية أخرى ستأخذ نوعين من القواعد، وهما صحيحان بشكل متكافئ في هذا المعنى، وتقر أن أحدهما أفضل من الآخر بدرجة ما. هل تعني كلمة "أفضل" مجرد "أبسط" هذا ما بدا أن تشومسكي يقوله، وكذلك زميله Morris Halle (١٩٦١) ولكن البساطة ليست نفسها مفهوماً بسيطاً. كيف يمكننا، عندئذ، أن نحدد أي نوع من البساطة يجب أن نقيّم ؟ أم أن كلمة "أفضل" تعني "أكثر صحة"؟ عندئذ، في أي صدد هي أكثر صحة ولماذا يجب الفصل بين هذه المستويات من الصحة؟

لقد أجيب عن هذه الأسئلة في فترة تشومسكي الثانية كما سنرى في (القسم الثاني). أما الآن ، تظهر مشكلة أكثر وضوحاً وهي إن كانت إمكانية عزل دراسة الأشكال عن دراسة المعاني إمكانية معقولة لأنه على الرغم من أن هاريس وآخرين أسسوا تحليلاتهم على دليل توزيعي محض، إلا إنهم، بالطبع، لم يتمسكوا بفكرة أنه لا يمكن دراسة وتفحص المعاني. وكذلك تمثل هذه الفكرة موقف تشومسكي بقوله "إن حقيقة وجود تناظر بين الشكل والسمات الدلالية. .. أمر لا يمكن تجاهله": (١٩٥٧: ١٠٢). وكل ما طلب في ذلك الوقت هو أنه يجب دراسة السمات الشكلية أولاً، لأن ذلك هو الاهتمام الوحيد باللغويات الوصفية (Harris: ١٩٥١: ٥) وتأتي دراسة علم المعاني فيما بعد.

وضمن شروط هاريس، فإن معنى الألفاظ في "التحليل النهائي" هو "علاقتها بالحالة الاجتماعية التي تحدث فيها " (١٩٥١: ١٨٧). ولهذه الفكرة جذور في نظرية بلومفيلد (١٩٣٣. الفصل التاسع). أما بالنسبة لتشومسكي "فإن السؤال الحقيقي الذي يجب أن يسأل هو ": كيف ... توظف الأدوات المتوفرة في لغة معينة للعمل في الاستخدام الحقيقي لتلك اللغة ؟"(١٩٥٧: ٩٣). ولذلك يمكن دراسة اللغة على أنها "وسيلة أو أداة" (١٠٣). فمن جهة،

يمكننا وصف أدواتها الشكلية دون الرجوع إلى استخدامها. وبنفس الطريقة، ولكي نطور ونوضح المقارنة يمكن للمرء من حيث المبدأ، أن يصف سكيناً: قبضته، نصله، حافته الحادة وكل أقسامه الأخرى – دون معرفة، أو أن يدعي أنه لا يعرف، أن السكين يستخدم للقطع. إلا أن لهذه الأدوات هدف على أية حال. وهكذا، وبعد أن نحصل على وصف لمقبض السكين وحافته والأجزاء الأخرى يمكن للمرء، عندئذ، أن يدمج ذلك الوصف في شكل أكبر من الوصف ويشرح لماذا تستخدم. وبنفس الطريقة يمكننا أن نتخيل ‘‘نظرية أكثر عمومية للغة ‘‘ (١٠٢) تشكل فيها النظرية اللغوية بالمعنى الذي وصف مسبقا، جزءاً واحداً فقط. وسيكون الجزء الآخر منفصلا ومهتماً بـ ‘‘نظرية استخدام اللغة’’.

وضمن هذا المنظور يمكن تقييم القواعد والنظرية اللغوية على مستويين. يمكن لقواعد A إذا نوقشت بمفردها، أن تكون أبسط من قواعد B. يمكن إعطاء مفهوم البساطة هذا معنى أدق، كما رأينا، من خلال مقياس تقييمي. وبمعنى أعم، يمكن لنظرية A أن تسمح بشكل أبسط من القواعد من النظرية B، وهكذا نجد تشومسكي يناقش في كتابة الأول أن النظرية التي تحتوي على قواعد تحويلية تسمح بقواعد أبسط للغة الإنجليزية من النظرية التي تحتوي على قواعد العبارة الشبجملية والقواعد الصرفية-الفونيمية فقط. (١٩٥٧: الفصلان الخامس والسابع). ولكن إذا ما درسنا المعنى، نجد أن البساطة تمثل معياراً واحداً فقط. لأنه يمكننا أيضا أن نطلب من القواعد أن تعطينا شروحاً (١٩٥٧: ٨٥) لحقائق دلالية. فالصيغة /ə neym/ لها معنيان "اسم" a name و an aim "قصد". يمكن شرح ذلك، كما رآه تشومسكي، بقواعد شكلية تقسم هذه العبارة من خلالها إلى سلسلتين مختلفتين من المورفيمات. وفي نص أصبح مشهورا، برهن تشومسكي أن The shooting of the hunters يمكن أن تعني، إما إطلاق رصاص الصيادين، أو إطلاق الرصاص على الصيادين. يمكن شرح ذلك من خلال قواعد، ولغايات التبسيط فقط، تشتق هذه العبارات بتحويليتين مختلفتين (88 وما يليها). ولذلك، فإن النظرية التي تسمح بالتحويلات هي أفضل لسبب آخر وهو أنها لا تعطينا وصفا أبسط للسكين فحسب، ولكن تعطينا، لو رغبنا في استمرار المقارنة، وصفا أبسط ضمن شروط القياس التقويمي المقترح يشرح لنا لماذا يمسك السكين بتلك الطريقة أو غيرها ويستعمل لقطع الأشياء.

إذاً ماذا كانت الحجج الحقيقية، خلف التحويلات؟ فبالنسبة لمعظم أتباع تشومسكي كانت وظيفة التحويلات إلقاء الضوء على الاختلافات والتشابهات في المعنى. فمن ناحية، يمكن للأشكال الغامضة أن تجد تحليلات مناظرة لتفسيرها، ووفقاً لذلك نجد مثال: The shooting of the hunters والعديد من الأمثلة القياسية الأخرى. ومن ناحية أخرى، يمكن للتحويلات أن تربط بين الأشكال المترادفة جزئيا أو كليا، فعلى سبيل المثال، قيل عن تراكيب المبنى للمعلوم أنها مرادفات دلالية لتراكيب المبني للمجهول المقابلة. وأكثر من ذلك، فلو زودنا بنظرية تسمح بالتحويلات كيف يمكننا، عندئذ، أن نقرر في حالات معينة أو محددة بأنه يجب أن تستخدم قاعدة أو غيرها؟ وكان الجواب المحنك، أن ذلك يقرره المقياس التقويمي، وبما أن المقياس التقويمي هو جزء من النظرية اللغوية نفسها، والتي يمكن النظر إليها على أنها جزء من نظرية أعم وأشمل تضم أيضا نظرية للاستخدام ، عندئذ يمكن تصور صياغتها في الحالة المثالية على أنها ستكون أبسط إن ساهمت قواعدها في شرح الدلالات والمعاني، من قواعد لا تمتلك ذلك. ولكن من الناحية العملية، فإن معظم من طبق هذا النموذج تبنى ما كان يستخف به في حقبة سابقة من اللغويات التوزيعية على أنه طريق مختصر .إن كانت هناك أسباب دلالية لتأسيس تحويلة فإنهم قاموا بتأسيسها. يمكن للقواعد بالمعنى الحدسي أن تصبح أبسط أو لا، إلا إن الاستغاثة بالمعنى كانت جامحة وسائدة.

أما الآن فأتباع تشومسكي ليسوا تشومسكي نفسه. وبنهاية الستينيات، أدى ذلك إلى إعادة صياغة القواعد تحت اسم "علم الدلالة التوليدي" (انظر بداية القسم الثالث) التي رفضها تشومسكي. إلا إنه لم يجر نفسه (تشومسكي) أو أي شخص آخر أية محاولة جادة لتبرير إجراء تقويمي نظمي. وطور أنموذج في الصوتيات - الصرفية أو كما سمي خطأً علم وظيفة الصوت التوليدية، إلا إن المعنى كان غير مهم في ذلك الحقل. وفي النهاية لم يفلح هذا المنهج برمته أيضاً. أما في النحو، فعلى الرغم من المكان العام والواسع الذي يحظى به عند تشومسكي فإن منهجا تقويمياً نحوياً كان في بداياته. لأنه كان متأكداً أنه يمكن التغلب على ذلك من خلال ربط نظريات الشكل بنظريات المعنى اللاحقة.

٢. تشومسكي الكلاسيكي

يعلق ليدل هارت Liddell Hart (١٩٧٠: ٣١٥) في وصفه لمعركة العلمين على مقدرة مونتجمري على "التكيف والتنوع" في ابتكار خطة جديدة عندما فشل هجومه الأساسي الأول فيقول "يعود الثناء الأكبر لقيادته الحكيمة " بدلاً من عادته الخاصة في الحديث على أن كل شيء قد سار وفق مخططه. ويمكن قول الشيء نفسه على تشومسكي في حقبته اللاحقة وفي التعديلات الطويلة التي تبعت ذلك. يمكن للمرء أن يفترض، وفق كتابات تشومسكي نفسه، أنه كان ثابت الفكر منذ البداية ؛ وبهذه الطريقة بقيت عبقريته الحقيقية مختبئة أو غامضة عن أتباعه.

إن إحدى التغيرات التي طرأت على تفكير تشومسكي في الستينيات والواضحة للغاية للوهلة الأولى أن مفهومه للقواعد توسع ليشمل "مركبا دلاليا". وبقي مركبه النحوي، كما كان في السابق، لا يقول أي شيء عن المعاني. وبقيت القواعد النحوية تشير إلى سلاسل من المورفيمات الممكنة وغير الممكنة في تمثيل الجمل القواعدية. إلا إن كل جملة أصبحت مفسرة دلاليا الآن. وأصبحت القواعد التوليدية، كما صاغها تشومسكي في سلسلة من المحاضرات التي ألقيت في صيف ١٩٦٤، "نظاما من القواعد تربط الرموز [الصوتية] بتفسيرات دلالية لهذه الرموز". (١٩٦٦ أ:١٢). إن الأشياء التي ولدتها هي جمل بالمعنى القديم، ولكن لها معان تلتصق بها الآن، وبدقة أكبر فقد أصبحت الجمل مؤلفة من ازدواجية مؤلفة من التمثيل الصوتي و"التمثيل الدلالي".

كيف يمكن ربط ذلك بالتقسيم الأقدم بين نظرية للشكل وأخرى للاستعمال ؟ يمكن للمرء أن يقول ببساطة أن مصطلح "النظرية اللغوية" قد أعيد صياغته. فبدلاً عن كونه جزءاً من "نظرية أعم للغة" (تشومسكي: ١٩٥٧: ١٠٢) أصبح الآن النظرية نفسها. ولكن بقيت هناك مشكلة وهي تفسير ما هو مقصود بكلمة "الاستخدام". لقد تكلم تشومسكي ١٩٥٧ عن "الاستعمال الحقيقي للغة"، يمكن اعتماد ذلك على أنه يعني أن النظرية الدلالية كانت مهتمة باستخدام لفظ معين، من شخص محدد، في وقت محدد، في مجموعة محددة من الظروف. إلا أن القواعد التوليدية هي نظام من القواعد، والاستخدامات الخاصة تتنوع بشكل غير متناه ، ولذلك فإن كان على القواعد أن تعين تفسيرات دلالية للجمل، فإن ذلك يجب أن يكون

شيء آخر. فقد كانت هذه في صياغة تشومسكي "معان حقيقية للجمل" (١٩٦٨: ١٩٧٢ ب. ٧١). وضمن ذلك السياق فلم يعد يتكلم عن "الاستخدامات"، ولكن لو عدنا للمقارنة مع السكين، يمكننا القول أن الاستخدام الحقيقي للسكين هو القطع. يمكنني أن استخدمه، في مناسبة معينة لقطع ملفوفة في مطبخي ؛ ويمكنني استخدامه في مناسبة أخرى بطريقة لا تمت للاستخدام الحقيقي للسكين كبديل مؤقت لمفك البراغي. وبالمعنى نفسه، أصبح الآن لدينا تمييز لم يكن موجوداً مسبقا في تفكير تشومسكي، وهو التمييز بين معنى الجملة كما تحدده القواعد، ومعناها الحقيقي في نطق محدد ملموس.

يمكننا الآن - وتلك البصيرة في مخيلتنا - أن نتعرف على مفهومه العام حول "معرفة اللغة". في إصداراته المبكرة، ذكر تشومسكي النذر اليسير عن المكانة النفسية للقواعد، لأن هدفه الأول كان تفسير توزيعات العبارات. إلا أن هناك معلق واحد على الأقل ذهب أبعد من ذلك. ففي نهاية مراجعة حماسية للكتاب الأول لتشومسكي تحدث روبرت لي Robert Lee "، عن "الجهاز" الموجود في رأس المتكلم والذي يستخدم "لتوليد جمل لغته" حيث قال أنه ليس بإمكاننا دراسة ذلك مباشرة ولكن إذا كانت قواعدنا مناسبة وعامة، يمكننا، عندئذ، وفق معايير العلم كما فهمها Lee: "لن يكون أمراً كبيراً لو افترضنا أن البشر يتكلمون بالطريقة نفسها التي "نتكلم" بها قواعدنا" (Lee، ١٩٥٧: ٤٠٦ وما يليها). وقد علق تشومسكي في فصله حول النحو المتناه بقوله أنه لو قبلنا ذلك الشكل من القواعد "فإنه يمكننا أن نتخيل المتكلم في جوهره كالآلة التي تصورناها". "يبدأ الإنسان في نطقه للجملة، في المرحلة الأولى ، بنطق الكلمة الأولى من الجملة، وبالتالي يتحول إلى مرحلة ثانية" وهلم جرا (١٩٥٧: ٢٠). لا يتكلم تشومسكي الآن الشيء نفسه عن الآلات التي تحتوي على قواعد البنية الشبجملية والقواعد التحويلية. ولكن بدا الأمر على الأقل بالنسبة لـ Lee أن القواعد هي نموذج حرفي لإصدار الألفاظ.

وبعد مرور عامين رفض تشومسكي هذا الاقتراح (١٩٥٩: ٥٦) إلا إنه افترض في الوقت نفسه، بدون جدل ، أنه يمكن القول عن القواعد التوليدية أنها "تميز تجريدياً" ما أسماه فيما بعد مقدرة/ كفاءة المتكلم اللغوية. يمكن للمتكلمين، على سبيل المثال، "أن يميزوا الجمل

من غير الجمل ؛ وكما تصورها تشومسكي فإن تلك المقدرة يصفها نحو يزودنا بقواعد للتمييز. وتحدد "جزئيا" أيضا، مقدرتهم على فهم جملة لم يسمعوها من قبل. وبكلماته، فهم "قادرون لدرجة ما على تقرير العملية التي "اشتقت" بها الجملة من القواعد. وأيضا يمكن أن تصف مقدرتهم على "ملاحظة بعض أشكال الغموض بها. وهكذا نجد أن اللغة الآن، كما رأينا، مجموعة من الجمل، ومتكلم يعرف اللغة، ويمكن القول عنه أنه يعرف ما هذه الجمل وما هو بنائها. ووفقا لذلك، يمكن القول أنه يعرف القواعد ،أي: أنه يعرف مجموعة من القواعد التي تحدد ما هي اللغة. وفي هذا الضوء استخدم تشومسكي مصطلح "القواعد".بما أطلق عليه فيما بعد "غموض منتظم" (١٩٦٥: أ. ٢٥). يمكننا القول أن النحو١ هو مجموعة من القواعد يبتكرها عالم نحو ولكنها ضمن منظور تشومسكي، تمثل هذه القواعد محاولة لتحديد مقدرة المتكلم اللغوية، وهي في حد ذاتها تعتبر نحوا. وهكذا، يمثل النحو٢ مجموعة من القواعد، "يصوغها كل شخص.بمعنى ما" (١٩٥٩: ٥٧) إن هو عرف تلك اللغة.

إن كانت المقدرة اللغوية هي "معرفة المتكلم - المستمع بلغته (١٩٦٥ أ. ٤) "فإن الاستخدام الحقيقي للغة في حالات واقعية"يشكل "الأداء اللغوي". ولا يمكن للقواعد التوليدية أن تفسر ذلك الأداء مباشرة، وبالتالي بالرجوع إلى علم الدلالة والمعنى، يمكن للقواعد أن تفسر المعاني الجوهرية ولكن ليس المعاني الحقيقية الملموسة ولم تعد ترى أيضا على أنها تنشأ من مجموعة من "الألفاظ الملحوظة". ومن الناحية الأخرى، فقد لاحظ تشومسكي "أن تسجيلاً للكلام الطبيعي سيظهر عدة بدايات غير صحيحة، وانحرافات عن القواعد وتغير في الخطة أثناء النطق وهلم جرا " (١٩٦٥ أ. ٤) . فالقواعد ليست مهتمة بهذه التصرفات ولكنها مهتمة فقط بالشكل المثالي للكلام الذي تظهر فيه كافة الجمل بشكل صحيح. وقد اقترح من الناحية الأخرى ، أنه يمكن لبعض الجمل القواعدية أن تظهر في الأداء اللغوي بشكل غير مقبول (الصفحة ١٠، وما يليها). وهنا أيضا نجد أن القواعد مهتمة "بالنحوية" فقط. ومع ذلك، فإن الأداء اللغوي لشخص ما يعتمد مباشرة على مقدرته اللغوية المستترة، وهي ما تصفه (القواعد$_{١}$). ولذلك فإن أية دراسة للأداء اللغوي يجب أن تعتمد أولا على دراسة (القواعد$_{٢}$). وكما صاغها تشومسكي في كتاباته المبكرة "إن أية محاولة مباشرة لتفسير التصرف الحقيقي

"للمتكلم أو المستمع" لا تعتمد على فهم مسبق لبناء القواعد "ستلاقي" نجاحاً محدوداً وبسيطا" (١٩٥٩: ٥٨).

لقد كان ذلك عرضاً بسيطاً، ومن المدهش - أنه عندما ينظر إليه بعين المتأمل - أن تشومسكي استقدم هذه المعلومات بقليل من المناقشة والجدل. يبدو أنه كان مقتنعاً تماماً أنه لو كان المرء مستعداً للتفكير بسيكولوجية اللغة، فإن ما قاله مسلم به جدلاً. وعندما تجسد "القواعد١" فيزيائياً بـ "القواعد$_{٢}$"، فإن بقية نظرية تشومسكي المدروسة (الناضجة) تتبع بدون أية صعوبة. حيث يكتسب المتكلم وهو طفل صغير القواعد$_{٢}$ – يركبها أو يدمجها بنفسه – ولكي يكون الأطفال قادرين على فعل ذلك، يجب أن يمتلكوا "وسيلة اكتساب اللغة" في رؤوسهم التي يكون مدخلها "المعطيات اللغوية الأولية " (١٩٦٥: ٢٥ – ٣١) وتكون القواعد مخرجها. ولذلك فإن هناك مقارنة مباشرة – مطورين بذلك ملحوظة قدمها هوكيت (١٩٤٨) – بين بناء الأطفال للقواعد$_{٢}$ وبناء اللغوي للقواعد$_{١}$. وفي أي من الحالتين – قواعد$_{١}$ أو قواعد$_{٢}$ – فإن مجموعة القواعد غاية في التعقيد، وأكثر من ذلك، فإن بناء الطفل للقواعد " يتم في فترة وجيزة ومدهشة" – ومنفصل إلى حد كبير عن ذكاءه – ويقوم بذلك كافة الأطفال (انظر الفصل ١٥، أدناه القسم ٤) كيف يمكن شرح هذه "الحقائق" (١٩٥٩: ٥٨)؟

كان رد تشومسكي على ذلك أنه لا ينبغي تجسيد مفهوم القواعد ماديا فقط بل ينبغي تجسيد النظرية اللغوية ماديا أيضا. وكما تخيلها للمرة الأولى، فقد كانت النظرية من الدرجة الثانية، حددت الأشكال التي يمكن أن تأخذها القواعد وكذلك صنف اللغات التي يمكن أن تولدها. أما القواعد، بدورها، فقد كانت نظرية من الدرجة الأولى حول لغة بعينها. ولكن دعنا الآن نفترض أن هذه التقييدات معروفة للأطفال عندما يتعلمون لغتهم الأم. ففي تلك الحالة، فمثلما تكون القواعد$_{١}$ محاولة لوصف القواعد$_{٢}$ – فكذلك يمكن لنظرية لغوية يصوغها لغوي – سمها النظرية اللغوية$_{١}$ أن يعاد تفسيرها كفرضية حول النظرية اللغوية$_{٢}$ التي يمتلكها كل طفل. (يوضح تشومسكي أنه يستعمل المصطلحات بغموض منتظم). ويجب على الأطفال كافة أن يمتلكوها بالتساوي. إنها تمثل مقدرة من العقل مميزة عن الذكاء العام، ولذلك

فإن الأطفال الأغبياء يكتسبون اللغة بالسرعة نفسها والنجاح نفسه الذي يتمتع به الأطفال الأذكياء؛ وللسبب نفسه فإنه لا يمكن تعلم هذه الملكة بذاتها، بل عوضاً عن ذلك يجب أن تكون جزءاً من بنائنا المورثي - وباختصار لا بد أن تكون ملكة فطرية.

إن النظرية اللغوية التي جُسدت مادياً بهذه الطريقة فُهمت بعض جوانبها الأخرى تماماً كما كان الحال عام ١٩٥٧. فبادىء ذي بدء، حددت الشكل (الصيغة) الذي يمكن أن تأخذه "القواعد". وكما رآها تشومسكي، " ينبغي على الطفل القادر على تعلم لغة أن يمتلك بالإضافة إلى أشياء أخرى بعض الفرز المبدئي لصنف من الفرضيات الممكنة حول بناء اللغة" (١٩٦٥ أ: ٣٠). لقد نُظر إلى ذلك أيضا على أنه تقييد لصنف من اللغات التي يمكن بناء قواعد لها. وبالتالي، "فإن الطفل يدنو من المعطيات اللغوية بتصور أنها مأخوذة من لغة معروف نمطها بشكل أكيد مسبقاً"، وعليه بعد ذلك" أن يقرر ... أي لغة من تلك اللغات الممكنة التي سيجدها في المجتمع الموجود فيه" (٢٧). وبكلمة مختصرة، إنه يعرف مسبقا ماهية اللغات الإنسانية وكذلك ماهية قواعدها. ويقول تشومسكي "سيكون تعلم اللغة مستحيلاً إن لم تكن هذه هي الحالة" (٢٧). يوضح المقطع الذي استشهدنا به مدى التوازي الكامل الذي اعتقد أنه موجود) ليس بين النظرية$_{١}$ والنظرية$_{٢}$ أو القواعد$_{١}$ والقواعد$_{٢}$ ولكن في المهمة الإدراكية الكاملة التي واجهها الأطفال والنحاة على حد سواء.

ثانيا: يجب على النظرية أن تزودنا بوسيلة تقويم. ويقول تشومسكي مرة أخرى: "يجب على الطفل القادر على تعلم اللغة أن يمتلك بالإضافة إلى ذلك طريقة لاختيار إحدى الفرضيات المسموح بها (التي يُفترض أن تكون لا متناهية عددا).. . متوافقة أو متسقة مع المعطيات اللغوية الأولية " (٣٠). وفي هذا الضوء، فقد كان قادراً على أن يشرح بوضوح أكبر ماذا كان على وسيلة التقويم الخاصة باللغوي - أي وسيلة تقويم$_{١}$ - أن تقّوم. فالقواعد$_{١}$، مرة أخرى، هي فرضية قواعد$_{٢}$ المتكلم - السامع. ولذلك، فإنها تحقق كفاية الوصف (١٩٦٥: ٢٤)" إلى الحد الذي تصف فيه بشكل صحيح القدرة اللغوية التي ينطوي عليها الأداء اللغوي. إلا أن الأطفال يمتلكون أثناء تطوير مقدرتهم اللغوية، أو بناء قواعدهم$_{٢}$ "طريقة انتقاء" بين الفرضيات؛ وبالتالي، يمكن تفسير وسيلة التقويم الخاصة باللغوي على أنها نظرية حول هذه

الطريقة. وأثناء تكوينه، فإننا نهدف إلى اختيار أبسط القواعد وأكثرها عمومية. إلا إننا لا نقوم بذلك، على أية حال، لأنه لدينا مفهوم مسبق عن الأسلوب الأفضل ولكن لأننا نعتقد أن هناك وسيلة تقويم فطرية- وسيلة تقويم$_٢$ – التي تقوم بانتقاء القواعد بالطريقة نفسها. ولذلك فقد أعيد تفسير ''البساطة'' على أنها مفهوم تجريبي (انظر بشكل خاص تشومسكي وهال: ١٩٦٥). وتقوم وسيلة التقويم بمعناها الحرفي بقياس الحقيقة أي كفاية الوصف القواعد$_١$.

إن الفصل الذي قدمت فيه هذه الأفكار قد عولج بطريقة تفتقر إلى الدقة نسبياً (انظر ماثيوز: ١٩٦٩: ١٢١ وما يليها). وكان من الصعب شرح أو تفصيل هذه الأفكار، ولذلك أوردت الاستشهادات حيث ما أمكن ذلك. إلا إنه كان من الواضح في حينها أن الأهمية التاريخية لهذه الأفكار كانت أعظم من سلسلة الأفكار التي أدتها. لأنه بمجرد أن قبلنا بأن القواعد$_١$ الخاصة باللغوي هي وصف للقواعد$_٢$ الخاصة بالمتكلم - والمستمع، والنظرية اللغوية$_١$ الخاصة باللغوي هي وصف للنظرية اللغوية الفطرية$_٢$ لدى المتكلم ، فإن موضوعنا سيحدد له هدف جديد وموقف جديد بالنسبة للمبادىء الأخرى. وقد دأب تشومسكي واتباعه في السنوات اللاحقة على أن يناقشوا بعقلانية أن اللغة هي نافذة على العقل، وأن المقدرة اللغوية هي سمة في الإنسان وحده ولا يوازيها شيء في الكائنات الأخرى، وعن المشاكل التي سببتها للإنسان في تطوره، وعلى أن اللغويات عامة، هي علم لا يمكن لاكتشافات أي علم إنساني أخر كالفلسفة أو حتى علم الأحياء أن يتجاهلها. إلا إنه على الرغم من أن هذه الجوانب الخارجية بدت مثيرة للغاية للبعض، إلا أن أهم المضامين كانت تلك التي تعلقت مباشرة بالنظام اللغوي نفسه وبالوسائل التي تؤدي إلى الوصول إلى حقائقه.

دعنا نناقش أولا المعطيات التي يعتمد عليها وصفنا للغات الإنسانية . ففي فترة تشومسكي المبكرة، وصفت القواعد (قواعد$_١$) مجموعة من الجمل. ولذلك كانت المعطيات جمل ممكنة، إما ألفاظاً ملحوظة أو جملاً يمكنها من حيث المبدأ، أن تكون ألفاظاً لغوية. لقد شكلت مجموعة أو عينة من اللغة، وكانت مهمة النحوي أن يستقرأ من الجزء إلى الكل. وفي حال كانت هناك استقراءات بديلة فكان ينتقي أبسطها. وإن لم يكن متأكداً فيما إذا كانت الجملة ممكنة أم لا، فإنه يبدأ من معطيات أكيدة ويستقرء منها الأبسط أو الأكثر عموما.

وبكلمات تشومسكي نفسه (١٩٥٧: ١٤)، فقد كان "جاهزاً لأن يترك القرار للقواعد نفسها".

أما الأن، فتمثل القواعد١ وصفاً لمقدرة المتكلم - السامع (قواعد٢). وبالتالي، فإنها تفسر عدة إمكانيات ؛ وكما رأينا، "فإنها تمثل المقدرة على تمييز الجمل عن غير الجمل"، وملاحظة بعض أنواع الغموض" وهكذا دواليك. وأكثر من ذلك، فإن مقدرة الإنسان اللغوية لا تنعكس إلا بشكل غير مباشر في الأداء اللغوي. افترض على سبيل المثال، أنه لوحظ أن متكلماً إنجليزياً قد قال I went to home. يمكن للملاحظة نفسها أن تكون مضللة، وأن المتكلم قد قصد قول I went home. أو أنه ربما كان ينوي قول I went to the pub ولكنه غير رأيه متأخرا جداً ، أو أنه حقاً قد قال I went to home وقد استعمل حرف الجر خطأً. لا يمكن الاعتماد على الملاحظة نفسها، وأن العينة التي احتوت على هذه الجملة ربما كانت عينة غير دقيقة للغة قد تمثلت قواعدها٢ داخليا. ولذلك سيكون من الأفضل لو سألنا المتكلم، أو حاولنا عن طريق بعض التجارب المباشرة الأخرى اكتشاف فيما إذا كانت جملة I went to home هي جملة قواعدية بالنسبة له. وبما أنه تمثل قواعد٢ داخلياً، فإنه يعلم فيما إذا كانت تلك الجملة قواعدية أم لا، وإن هذه المعرفة بالذات، وليس كلامه الفعلي، هي التي نصبو إلى وصفها.

لاحظ الآن جملة مثل: I watched the shooting of the hunters. إن متكلماً قد تمثل داخليا قواعد٢ للإنجليزية يعرف تماماً أن هناك لبساً في هذه الجملة. أنه يعرف أن لها تمثيلين دلالين مختلفين ويقابلهما تمثيلان نحويان مختلفان. لذلك لا توجد هناك حاجة، كما في السابق، لإيجاد البرهان من الدليل التوزيعي. ولا يوجد هناك أي سبب للرجوع، في أي من الحالتين إلى معطيات تتعلق بالاستخدام الحقيقي لمثل هذه الجملة. وليس هناك أي معنى للسؤال إن كان دليلنا هو الشكل أم المعنى. إنه ببساطة مجرد دليل حول المعرفة المتمثلة داخلياً للمتكلم - والسامع بالقواعد٢ ولذلك فإنه يمكننا الاعتماد عليها مباشرة أثناء بناء قواعدنا١.

وباختصار، فإن معطيات النحوي هي أساساً البديهة اللغوية لدى المتكلم. إن وجود ذلك بين معطياته ليس بالشيء الجديد. لقد كانت مراجعة Lee لي للكتاب الأول لتشومسكي أكثر وضوحاً من الكتاب نفسه (Lee: ١٩٧٧: ٣٧٦) .

وأصبح حدس المتكلم يشكل الدليل الوحيد، الذي يستعمله النحاة التوليديون بشكل متزايد. لم يتم الحصول على هذا الحدس من "الرواة السذج" كما كان يطلق عليهم في الماضي. وعمل كل واحد من أتباع تشومسكي على لغته الأم بنفسه، وكان يتكلمها بنفسه، وأدلى بحكمه وفقاً لحدسه عما هو قواعدي أو غير قواعدي، وأي من الجمل فيها لبس أو غموض، وهكذا دواليك. ولذلك يمكنه التقدم من خلال استبطانه الذاتي بدون الرجوع إلى دليل الملاحظة أبداً. وفي نهاية الستينيات أصبح هذا الأسلوب معمولاً به بثقة عمياء تقريباً. وعندما اصطدم حدس لغوي مع آخر، فإما ادعيا أن كلا منهما كان على صواب وكان الأخر على خطأ أو اتفقا اتفاقا وديا بأن اللهجات التي اكتسباها عندما كانا طفلين كانت مختلفة. وبدأ العلماء الاهتمام بمشاكل البحث في اللغات الميتة التي لا يمكن الحصول على مثل هذه المعطيات فيها. أما البعض الآخر فقد قال بأن المتكلمين الأصليين لأية لغة هم وحدهم الذين يمكنهم أن يصفوا تلك اللغة بأمانة، لأنهم وحدهم الذين يتمتعون بالحدس السليم. وقد ميز Lee بدقة في مراجعته لتشومسكي عام ١٩٥٧ بين هذا الشكل من الدليل و "الحدس أو المفاهيم قبل العلمية التي يمتلكها اللغوي، لكونه عالماً، بالمعطيات". إلا إنه أصبح من الصعب جداً التميز بينهما من الناحية العملية.

و تعلق اتجاه مهم آخر بدراسة "النحو العالمي"، إذ ساد الاعتقاد بأن هناك سمات عامة بين كل اللغات ؛ ولذلك، يمكننا أن نتطلع ، كما طرحها بلومفيلد (١٩٣٤ = ١٩٧٠: ٢٨٥) إلى "قواعد عامة تسجل كامل أوجه التشابه بين اللغات. أما مصطلح " سمة لغوية عالمية " أو "سمة عالمية من اللغة " فهو من ابتكار علماء ليسوا من اتباع تشومسكي (انظر على وجه الخصوص،غرينبرغ Greenberg: ١٩٦٣، والفصل التاسع هنا)، إلا أن تفسير تشومسكي الجديد للنظرية اللغوية قد غير شكل هذا الحقل بشكل كامل.

ولكي نعيد ما قلناه باختصار فإن الطفل يقوم ببناء القواعد. وهذه مسألة غاية في التعقيد. فلكي يبني الأطفال قواعدهم بسرعة وبدقة كما يفعلون، فلا بد أن يكون لديهم معرفة مسبقة بتفاصيل دقيقة عن العديد من السمات التي ستحتويها قواعدهم. ولكنهم غير مجهزين وراثيا لتعلم لغات معينة إذ يمكن لطفل ولد من أبوين يتكلمان الإنجليزية أن يتمثل داخليا قواعد اللغة الروسية أو الصينية أو أية لغة أخرى لو كانت هذه اللغة هي لغة المجتمع الذي يترعرع فيه. ولذلك، فإن السمات المعروفة فطريا يجب أن تكون شائعة في كافة اللغات. وفي الوقت نفسه يجب أن تكون خاصة؛ لأنه لو كانت هذه السمات مجرد دلالات عامة، على سبيل المثال، كتحليل الجملة إلى كلمات أو أن لها بنيتين أحدهما عميقة والأخرى سطحية، لكانت قيم هذه السمات كمخطط لبناء القواعد ضئيلة. ولذلك لا بد أن تكون اللغات أكثر تشابها مما افترضه أسلاف تشومسكي من اللغويين. ولا بد أن يكون تنوع البنى في اللغات هو شيء سطحي. ويقبع خلف ذلك مجموعة كبيرة ومعقدة من المبادىء العالمية بانتظار من يكتشفها.

وكان ذلك قضية مبدأ وليس مجرد اكتشاف تجريبي . وكان نتيجة مباشرة لمنطق تشومسكي ومفهومه الجديد للنظرية اللغوية. لنناقش الآن كيف يمكن اكتشاف سمة عالمية. إن الأسلوب الواضح، لو كان المرء ليس من أتباع تشومسكي، هو النظر بشكل عام إلى أوسع تشكيلة ممكنة من اللغات. ويتطلب ذلك معرفة عميقة ومكثفة، وبدا لبلومفيلد على الأقل أن "نقص المعطيات " قد حال دون ذلك. ولكن بالنسبة لبرنامج تشومسكي، فإن هذا الشكل من الدراسة هو ثانوي على أية حال من الأحوال، لأنه لا يمكن للمرء أن يناقش مباشرة من العالمية إلى الفطرة. وكما أشار النقاد، فإنه يمكن لسمة أن تكون في الحقيقة موجودة في كل لغة ولكنها قد تكون سمة غير موروثة (انظر ماثيوز: ١٩٦٧ :الملحوظة ١٢٢ وما يليها). ولكن على العكس ، إن كانت السمة فطرية، فإنها لا بد وأن تكون فطرية عالمياً. ولكي نكتشفها لا ينبغي علينا أن نبحث في كل لغات العالم؛ علينا ببساطة أن نظهر أن المتكلمين البالغين لأية لغة لا يمكنهم أن يبنوا قواعدهم التي يبنوها على دليل قدراتهم فقط عندما يتعلمون اللغة حتى تكون هذه السمة مثبتة مسبقاً. وفي الواقع، يمكن لدليل من لغة واحدة فقط أن يفي بالغرض. "وعلى عكس ما يبدو متناقضا للوهلة الأولى "، فقد أوضح تشومسكي في ملاحظته في

الفصل الثاني (١٩٦٥ أ: ٢٠٩)، "إن أي اعتبارات داخلية للغة واحدة، يمكن أن تقدم دعما مهما ليس فقط عن قواعدها الخاصة ولكن عن النظرية العالمية أيضا".

وأتذكر أن قارئاً واحداً على الأقل قد قذف بالكتاب على الأرض عندما قرأ ملاحظة تشومسكي التي أوردتها للتو. ولكن إذا تأملناها بدقة، فإن كلماتها تتسم بالحرص؛لأنه في السنوات التي أعقبت تلك الملحوظة، ولأسباب كانت شرعية تماماً أنه لو قبل الإنسان منطق نظرية تشومسكي فإن دراسة السمات العالمية في اللغات الإنسانية ستنطلق معتمدة اعتمادا كبيراً على أسس حدس اللغوي التوليدي عن الإنجليزية.

٣. الفترة الانتقالية

بعد سنوات عدة، قال تشومسكي أنه لو كان عليه أن يعيد كتابة الفصل التمهيدي لكتابه Aspects of the Theory of Syntax، فإنه لن يغير ما كتب. في الواقع إنه يمثل المحور الذي دارت حوله رحى القواعد التوليدية (تشومسكي، وهايبركتس، وريمزجك ١٩٨٢). ولكن على الرغم من أن جوهر تفسيره للقواعد بقي كما هو، إلا إن هناك أشياء أخرى فيه، ربما كانت أقل أهمية أو أقل مركزية لاهتمامات تشومسكي المتطورة، تخلى عنها سريعا أو عدلها.

لنبدأ مرة أخرى بالمعنى. إن نظرية المعنى التي تبناها تشومسكي في منتصف الستينيات على أنها غير قابلة للنقاش ليست من ابتكاره. كانت في الأساس نظرية كاتز Jerold Katz (Katz و فودرFoder، ١٩٦٣ و كاتز و بوستالPostal ١٩٦٤)، وتتمثل مبادئها الأساسية ، كما رأينا، في أن للجمل معاني حقيقية كما سماها تشومسكي، ويمكن اشتقاق هذه المعاني بقوانين تفسر البنى أو التراكيب النحوية. ويمكن الإشارة إلى ما قلناه بدقة أكثر في أن كل تركيب نحوي "يحدد منفرداً" (تشومسكي: ١٩٦٦ أ: ١٣) تمثيلاً دلالياً. ولكن على مثل هذه النظرية أن تزودنا بأسس لتمييز المعنى الحقيقي من المعاني الأخرى التي تمتلكها الجملة عندما تلفظ. لنعقد المقارنة مرة أخرى مع السكين. إن السكين التي غالبا ما استخدمتها لفرم البصل قد استخدمتها أمي لقطع الخبز. هل لهذه السكين مجرد استخدام عام واحد وهو (القطع) ؟، ولكن هناك بالتأكيد بعض الخلاف الجوهري بين هذه السكين الكبيرة والأخرى التي يمكن أن استخدمها في تقشير تفاحة. هل يتمتع هذا السكين من ناحية أخرى، باستخدامين حقيقيين

(الفرم، والتقطيع إلى شرائح)؟، ولكن كيف يمكن للمرء أن يضع حدا لهذه التمييزات التي يمكن تأسيسها ؟ وهكذا نجد أن تقشير التفاحة ليس تماما كتقطيع الخيارة إلى شرائح، ومع ذلك فإنني غالبا ما أقوم بكلا العملين بالسكين نفسه الذي ما يزال نفسه من حيث الجوهر غير مناسب لتقطيع الخبز إلى شرائح. هل يمكننا القول أن للسكين الكبير استخداماً حقيقياً واحداً محدداً (إما قطع البصل أو تقسيم الخبز)؟ ففي تلك الحال، قد أكون أنا أو أمي من استخدم السكين بطريقة شاذة. ولكن أي منا فعل ذلك؟

لا يمكن لنظرية المعاني الحقيقية أن تتفادى مشاكل مشابهة، وبدأت مثل هذه المشاكل تسبب متاعب نظرية مع بداية السبعينيات. وأحد هذه الأسباب أن معظم أتباع تشومسكي قد تبنوا نظرية *علم الدلالة التوليدي* . وفقاً لهذه النظرية، تبدأ القواعد التوليدية بوصف التمثيلات الدلالية. و لم تقرر هذه التمثيلات أو تشتق عبر تفسير البنى النحوية، بل على العكس، فقد اشتقت الأخيرة من الأولى. ولذلك تبدأ مهمة عالم النحو في دراسة أي مادة بحثية بتحليل التمثيلات الدلالية الموجودة، هل الجملة يكتنفها اللبس أو الغموض ؟ وإن كان الأمر كذلك كم لهذه الجملة من المعاني ؟ إن الأجوبة التي أعطيت في البداية كانت مثيرة للسخرية والضحك. فعلى سبيل المثال: لأي صيغة للجمع مجموعة غير متناهية من التمثيلات الدلالية (men = رجلان، ثلاثة رجال، أربعة رجال وهكذا) ؛ ومن السخرية أيضا أن جملة مثل: He stood on one leg. (وقف على رجل واحدة) جملة غامضة لأنه يمكن أن تكون الرجل اليمنى أو اليسرى. لقد بدت مثل هذه الاقتراحات سخيفة ومثيرة للضحك، ولكنها تعتمد على أحكام، يمكننا أن نعترف، في مستوى معين، بأنها صحيحة، وإن لم تتصل هذه الأحكام بالمعاني الحقيقية، عندئذ، يجبر المرء على التساؤل كيف يمكن تحليل هذه المعاني؟

لقد رفض تشومسكي نفسه علم الدلالة التوليدي. دهش العديد من أتباع تشومسكي في ذلك الوقت بموقفه، لأنه قال بنفسه أن التمثيلات الدلالية تشتق بقواعد؛ من حيث المبدأ، لم يكن هناك أي سبب لماذا لا تولد مثل هذه التمثيلات مباشرة. كما أنه قال أيضاً: إن الأحكام عن اللبس والغموض وما شابههما تمثل معطيات تعكس مقدرة المتكلم ؛ وكما لاحظنا في القسم الأول، استخدمت الحجج الدلالية بشكل متزايد كأساس أولي لتأسيس

التحويلات أو توكيدها. وكلما نفذ ذلك كلما وجد علماء النحو أنهم مقتادون مباشرة إلى المعاني ، وليس إلى مجرد مستوى أعمق من النحو. وأخيراً، في محاضراته (١٩٦٤) التي قدم فيها مراجعته لنموذج القواعد، ضمن تشومسكي كلامه بأن السبب وراء وجوب البدء من النحو هو ببساطة أننا لا نعرف الكثير عن كيفية وجوب تمثيل المعاني (١٩٦٦. أ). فقد كان ذلك تحدياً واضحاً لاكتشاف المزيد منها والابتداء بها بدلاً من النحو.

إلا أن تشومسكي اتخذ أساساً وجهة نظر مختلفة حول العلاقة بين القواعد والمعنى، وعلى الرغم من أنه وافق على مفهوم التمثيلات الدلالية، حتى أنه قال في بعض الأحيان "من الواضح تماماً أن للجمل معاني حقيقية تقرر بقاعدة لغوية"(١٩٦٥ .ب = ١٩٧٢ ب ١١٥)، إلا أن اهتماماته تركزت وتمحورت حول النحو، ونادراً ما تكلم أو ناقش مسألة معينة من المعنى لا علاقة لها بالنحو. أما بما يخص المظاهر الأخرى (على سبيل المثال، معاني المفردات المعجمية أو مكانة نظرية الحدث الكلامي) فلم يذكر منها إلا النذر اليسير وفي طريقة مثيرة للجدل (كما في تشومسكي ١٩٧٢، الفصل الثاني). وأكثر من ذلك فهناك دلائل تشير إلى إنه في نهاية الستينيات بدأ يشك فيما إذا كانت هناك معاني حقيقية للجمل يمكن فصلها. فقد علق في محاضرة له عام ١٩٦٩ قائلا: "إن فكرة تمثيل المعنى أو "التمثيل الدلالي" ... هي فكرة مثيرة للجدل بشكل كبير"، واستمر بالقول "ليس من الواضح أبداً أنه من الممكن التمييز بدقة بين إسهام النحو في تقرير المعنى، وإسهام ما يسمى "بالاعتبارات البراغماتية "، وأسئلة تتعلق بالحقيقة والاعتقاد، وسياق اللفظ أيضا (١٩٧٢ .ب الفصل الثالث). وباختصار، ليس من الواضح فيما إذا كان من الممكن عزل أو تمييز المقدرة الدلالية عن الأداء اللغوي. استمر تشومسكي في ذلك الوقت بافتراض التمثيلات الدلالية. ولكنها كانت مجردة تماماً ويمكن أن تبرهن بأنها عديمة الفعالية.

وبعد سبع سنوات، وفي سلسلة من المحادثات التي لم تظهر مكتوبة بالإنجليزية حتى عام ١٩٧٩ استطاع تشومسكي أن يدفن وبفعالية نظرية كاتز. وأوضح، وهو على صواب، أن تلك النظرية لا تمثل ما اقترحه في الخمسينيات. وبالإضافة إلى ذلك إنها تفترض تمثيلاً دلالياً يعتمد على "نظام عالمي من الفئات الدلالية "(١٩٧٩: ١٤١). ولكن على الرغم من اتخاذ

بعض "المفاهيم التقليدية " على أنها عالمية (على سبيل المثال: " الفاعل الحقيقي" أو "الوسيلة")، وعلى الرغم أيضا من أن بعض سمات المعنى الأخرى (على سبيل المثال: الإحالة أو صفات المحددات الكمية) تعود إلى نظام القواعد التي تحدد معرفتنا اللغوية البحتة "، إلا "إنه ليس من الواضح أبداً أنه يمكن الدفاع عن النظام العالمي الذي اعتبره تشومسكي بنفسه ضروريا (١٩٦٥ أ، ١٩٦٦ أ). وفي الفقرة التالية يعود إلى دور العوامل البراغماتية، فيقول :" ليس من الواضح أبداً، أن الكثير سيبقى لو حاولنا فصل المكونات اللغوية البحتة عن ما يسمى في الاستخدام غير الرسمي أو حتى في النقاش التقني"معنى التعبير اللغوي". ويستمر قائلا "إني أشك أن في مقدور المرء فصل التمثيل الدلالي عن الاعتقادات ومعرفة العالم حولنا " (١٩٧٩: ١٤٢).

كان ذلك بمثابة نقطة تحول رئيسية كما أدركه كاتز (١٩٨٠) في الحال . لكن إلى أين سيؤدي ذلك التحول؟ إمكانية أولى ، والتي لا يبدو أن أحداً ترجمها إلى كلمات مكتوبة في ذلك الوقت، هي العودة إلى ما يشبه موقف تشومسكي في الخمسينيات. إذ أن اهتمام النحو التوليدي، أساساً، هو النحو والنظام الصوتي، وأن اهتمام النحو الأساسي هو وصف عمليات التوزيع. كما أنه سيعين الجمل ببنى مناسبة للتفسير الدلالي. إلا إن التفسير نفسه يقع خارج النحو. ويقع ضمن هذا التفسير عدة عوامل، بعضها يعتمد كلية على حالة المتكلم أو المستمع نفسه في حالة أو مناسبة معينة، تمتزج مع بعضها البعض.

إلا إنه من السهولة بمكان أن نعرف أن هذه الطريقة لن تفلح لأن تشومسكي قد قبل في المحادثات التي ذكرناها آنفا بأن بعض المفاهيم الدلالية (الإحالة، وأدوار المشاركين وهلم جرا) هي عالمية. وإن كانت كذلك، فهي مهيأة لأن تكون أعضاء في القواعد العالمية المقررة فطرياً (القسم الثاني) وإن كانت جزءاً من ذلك، فإنها تكون جزءاً من القواعد الخاصة التي يبنيها المتكلمون. وبشكل بديل، فهي مرشحة لأن تكون أعضاء في بناء عقلي فطري آخر مختص باللغة أيضاً. ومن الصعب أن نجد مبرراً لماذا يجب فصل مثل هذا البناء عن اللغة.

أما الإمكانية الثانية فتتمثل في التخلي عن القواعد المتمثلة داخلياً. من وجهة نظر تشومسكي، فإن تعريف النحو، هو مجموعة من القواعد تربط المعنى بالإشارات الصوتية (راجع ثانية، تشومسكي: ١٩٦٦ أ. ١٢). إلا إن القواعد لا تقرر المعاني إلا بشكل جزئي ؛ وبالتالي

فإن مثل هذه القواعد متناقضة مع بعضها. وأكثر من ذلك "ليس من الواضح أبدا "إن كان بالإمكان فصل إسهام القواعد عن إسهام العوامل الفاعلة الأخرى. وإذا كان لا يمكن فعل ذلك، فإنه لا توجد طريقة أخرى يمكن من خلالها تحديد النحو الذي يحتوي على قواعد دلالية. ولو تابعنا هذه المناقشة حتى النهاية، فستكون كفاءة المتكلم هي ببساطة مقدرته على الكلام وفهمه للكلام في سياقات محددة. ولن يكون هناك مظهر محدد يمكن القول بأنه يمكن للقواعد أن تصفه.

وقد وصل بعض أنصار علم الدلالة التوليدي مسبقاً لهذه النتيجة. ولكنها تطعن بوضوح صلب فلسفة تشومسكي اللغوية. ولأننا نعتقد أن المتكلمين قد تمثلوا داخلياً القواعد (قواعد$_{٢}$ في القسم الثاني) فإنه يمكننا تفسير القواعد (القواعد$_{١}$) الخاصة باللغوي نفسياً. ولأن قواعد اللغوي كانت معقدة للغاية، وكذلك يعتقد أن قواعد المتكلم متشابهة، فإن المقدرة على تعلم اللغات يجب أن تفسرها المعرفة المسبقة بالقواعد العالمية. ولأنه كان يعتقد أن معرفة القواعد يجب أن تكون منفصلة عن استخدام المتكلمين لها، وبالتالي يمكن للمرء أن يفرض مقدرة خاصة بالعقل تعود إليها هذه المعرفة المسبقة. فلو تخليت عن ذلك المفهوم الأساسي سينهار كل شيء يعتمد عليه.

مثل هذه الحجج هي إعادة بناء، لأن تشومسكي لم يناقش هذه المسألة علنياً. إلا أن البديل الذي اعتنقه كان في النتيجة حلاً وسطاً. فمن ناحية، أرسى تشومسكي بعض القواعد الدلالية - لنسميها القواعد الدلالية$_{١}$ - التي تطبق بمعزل عن السياقات التي تستخدم فيها الجمل. وتضم، على سبيل المثال، قواعد الإحالة الإجبارية (كما في جرح *بيل نفسه* حيث يجب على الضمير الانعكاسي نفسه أن يعود على بيل، وكذلك قواعد الإحالة غير الإجبارية (كما في جرحه *بيل*، حيث لا يمكن للضمير أن يكون كلمة محيلة (عائدة) على بيل)، وقواعد للمعاني مثل الفاعل الحقيقي، والهدف، والوسيلة (يسميها تشومسكي العلائق "الموضوعية")، وبعض القواعد للسمات الأخرى للمعاني القواعدية التي يعتبرها تشومسكي عالمية. تشكل مثل هذه القواعد العنصر الدلالي الذي سمي في هذه المرحلة بـ "قواعد الجملة" (١٩٧٦: ١٠٥)، ولكن من ناحية أخرى، يوجد هناك أنموذج أخر من القواعد الدلالية، لنسميها القواعد الدلالية

٢- التي تعمل بشكل مشترك مع أشكال المعرفة الأخرى. ومثال على ذلك تفسير الضمير في جملة "جرحه بيل" حيث لا يعود على مذكر مفرد غائب فحسب، بل على شخص معين يكون المعني في مناسبة معينة. وتمثل القواعد الدلالية[٢] جزءاً من معرفتنا اللغوية. إلا أنها تمثل عنصرا دلالياً ثانياً يقع خارج نطاق النحو (بالمعنى الضيق للمصطلح).

وبعد أن تبنى هذه النظرية، أصبح تشومسكي حراً في التركيز على نحو الجملة. فهناك، ضمن هذه القواعد، مجموعة أولى من القواعد - قواعد النحو - تشتق بنى (على نموذج الستينيات) تفسر بالقواعد الدلالية[١]. فعلى سبيل المثال، في جملة: Who did he say Mary kissed? " من قال أن ماري قبّلت "، التي تمثل نمطاً من الجمل التي ناقشها تشومسكي مناقشة مستفيضة في السبعينيات، نجد أن البنى النحوية تُظهر، من بين الأشياء الأخرى، أن who، "من"، قد تحركت عن طريق عملية تحويلية من موقع أولي خلف kissed. ستقوم القواعد الدلالية[١] باشتقاق ما سماه تشومسكي "بالشكل المنطقي" للجملة. لقد عرف هذا المصطلح من خلال النظرية العامة على النحو التالي: أنه يشير إلى "تلك المظاهر من التمثيل الدلالي التي تقررها القواعد وحدها مجردة من الأنظمة الإدراكية الأخرى (تشومسكي ١٩٧٧، أ : ٥) .إلا إنه كما تتضمن التسمية، فإن الشكل المنطقي يمثل خاصة ما أسماه النحاة القدامى بالعلائق المنطقية. وهكذا نجد أن Who did he say Mary kissed? تتمتع بالشكل المنطقي الأتي: لأي شخص X، هو قال أن ماري قبلت X ؟ (تشومسكي: ١٩٧٦: ٩٩). وإذا تركت مسألة وسم who على أنها تشير إلى كائن بشري، فإن الصيغة المنطقية قد صيغت بشكل تظهر منطقياً أن who هي المفعول به لفعل "قبلت".

ولكن أين التقسيم بين البنى النحوية التي تقرر العلائق المنطقية والبنى الدلالية التي تمثلها؟ إن القاعدة الدلالية التي تربط who بموقعها في الجملة التابعة هي من نوع صحت تسميته بـ "قاعدة تفسير البنى" (تشومسكي ١٩٧٧. أ: ٦). ولكن ألا تظهر قواعد النحو كيفية تفسير الجمل؟ إنها تعمل بشكل مختلف، ولكن في المثال نفسه، هناك وصلة تحويلية بين who في موقعها الابتدائي في البنية العميقة (Who kissed ? ... ،. قبلت. .. من ؟) والكلمة نفسها في

موقعها في البنية السطحية (Who kissed?، من. .. قبلت ؟) ما هو المعيار الذي يمكن للتركيب أن يكون فيه نحويا في جزئه الأول ودلالياً في جزئه الثاني؟

والآن، كان النحو أساسا توزيعياً (القسم الأول). واستمر النموذج المعتمد في الستينيات (القسم الثاني) يميز بين الجمل وغير الجمل. إلا إن ذلك الشرط قد سقط في منتصف السبعينيات. خذ على سبيل المثال، السلسلة غير القواعدية التالية:

*They said that Mary kissed each other. في بداية العقد كانت السلسة القواعدية الآتية: They kissed each other " قبلوا بعضهم بعضاً"تشتق عادة بواسطة تحويلة من البنية النحوية العميقة التالية: They each kissed the other . يمكن للتحويلة أن تحدث ضمن جميلة ؛ ولكن إذا ما اعتمدنا البنية النحوية العميقة التالية: They each said that Mary kissed the other. فإن التحويلة لا يمكنها أن تتجاوز حدود الجميلة وتلصق each بالمفعول به للفعل التابع. ولكن ما زال هذا هو الحل الذي تصوره تشومسكي ١٩٧٣ (= ١٩٧٧ أ : الملاحظة ٨٩ وما يليها).

إلا إن حلاً آخر هو القول بأن مثل تلك السلسلة لا يمكن تفسيرها. ففي جملة: They kissed each other "قبلوا بعضهم بعضاً". نجد أن العبارة التبادلية تعود إحاليا على they: ويتم إنجاز ذلك مباشرة بقاعدة تأويلية. ويمكننا القول أيضا أنه لا يمكن لهذه القاعدة الدلالية التفسيرية أن تتجاوز حدود الجميلة الواحدة. وبذلك نجد في سلسلة: They said that Mary kissed each other . أنه لا يمكن إيجاد صلة إحالية بين each other و they. إذ إنه لا يمكن وصل العبارة التبادلية بـ Mary أيضاً لأن الأولى في صيغة المفرد والثانية في صيغة الجمع . وأخيراً لا يمكن فهمها بدون المحال عليه. وينتج عن ذلك أن السلسلة غير قابلة للتفسير أو التأويل . ولكن عندئذ، إن كان يمكن شرح عدم قبولها عند ذلك المستوى، فلا يوجد أي سبب يمنع النحو من أن يسمح بذلك.

كان ذلك هو الحل الذي تبناه تشومسكي في بحثه الثاني (١٩٧٥ = ١٩٧٧ أ: ١٧٨). إنها مجرد حالة من عدة حالات (بعضها تمت مناقشتها سابقا في تشومسكي ١٩٧٣) حيث أصبحت السلاسل التي كانت سابقا تستثنى على أساس قواعد النحو ترفض الآن بسبب

عدم إمكانية إعطاءها صيغة منطقية. ووفقا لذلك فقد أنكر تشومسكي أن هناك أي خلاف عشوائي مسبق بين المستويات. فعلى سبيل المثال يعرف المتكلم أن سلسلة:

*The police think who the FBI discovered that Bill shot . غير قواعدية في حين لو استبدلنا الفعل (think) بـ (know) فستصبح الجملة، عندئذ، قواعدية. ولكن كما أسلفنا على عجل في القسم الثاني أن المتكلم لا يمكنه القول مباشرة فيما إذا كان ذلك الحدس متعلق بالشكل أم بالمعنى. إلا إن تشومسكي نفسه" لم يكن مقتنعا أن لذلك السؤال أي قيمة، أو أن هناك أسس واضحة معقولة لحل المسألة " (١٩٧٦: ٩٥). ويمكن لنفس الحقيقة، من حيث المبدأ أن تحل أو تشرح في أي من الطريقتين.

وفي ذلك الوقت لم تبدُ هذه القضية أساسية. لأن السؤال الأهم بالنسبة لمعظم المعلقين، كان يتعلق بمسألة كون علم الدلالة "توليدياً" أم "تفسيرياً". فهل يجب على النحو أن يبدأ بالتمثيلات الدلالية (كما في أنموذج علم الدلالة التوليدي)، أم يجب أن تشتق من تمثيلات النحو؟ فلو تبنى المرء وجهة النظر "التفسيرية"، فعندئذ، يجب عليه أن يجيب عن السؤال الآخر وهو أي مستوى من النحو يجب أن نفسر ؟ في الأساس، كان تعريف المستوى هو البنية العميقة ؛ أما لاحقاً فقد كان مستوى البنية العميقة والسطحية (تشومسكي: ١٩٧٢: أ)، أما فيما بعد فقد كان مستوى البنية السطحية فقط (تشومسكي ١٩٧٦ وما تبعه). وقد تم التفريق بين العديد من النماذج القواعدية وفق ذلك الأساس: "النظرية القياسية " في الستينيات،و "النظرية القياسية الموسعة "، وأخيراً، "النظرية القياسية الموسعة المنقحة".

ولكن لو ألقينا الآن نظرة تأملية على الماضي، لبدا واضحاً أننا كنا نشاهد علامات احتضار وموت "التوزيعية" خلف التقدم التقني الزائف. كانت القواعد برمتها مهتمة بالعلائق التوزيعية فقط في فترة تشومسكي الأولى. وكما رأينا في القسم الأول، فإن شرط وجوب كونها بسيطة شكليا كان يسبق التوقع في أنه يمكنها أن تشرح استخدام الجمل ولو جزئياً. أما في منتصف الستينيات، فقد قُلبت هذه الأولويات، حيث أن مقياس البساطة، إن كان مهماً أو على صلة بالموضوع، يطبق على كامل القواعد وكان يتضمن ذلك مكوناً دلالياً. إن الشرط الأساسي هو أن تكون القواعد كافية وصفياً في كل مستوياتها. وأكثر من ذلك، فلا يتضمن

ذلك أن تتعامل القواعد مع كل حقيقة من حقائق التوزيع. لأنه يمكن للعديد من الجمل التي تولدها القواعد أن تكون غير صالحة لتشكل ألفاظاً لأسباب أخرى (تشومسكي: ١٩٦٥ : ١٠ ومايليها). يمكن شرح عدم قبولها من خلال تفاعل القواعد كنظرية للكفاءة اللغوية، مع نظرية الأداء اللغوي.

لقد ماتت التوزيعية ميتة قاسية. كان المكون النحوي يساوى فعليا مع النموذج التوزيعي الأقدم في القواعد الموسعة في منتصف الستينيات. . لقد استمر في وصف كل الجمل التي كانت تعتبر قواعدية فقط؛ و لتبرير شكل قوانينه القواعدية التي اتخذها، لجأ تشومسكي مباشرة إلى الحجج السابقة. و لم يكن المكون الدلالي بالمقابل أكثر من لاحقة تفسيرية. وحتى منتصف السبعينيات ما زال هناك كتاب مدرسي واحد على الأقل يصر على أن تبقى الحجج والبراهين الشكلية منفصلة عن الحجج الدلالية، ولا يجوز استخدام الثانية في تبرير القواعد النحوية (كلوكوفر Culicover : ١٩٧٦: ٤٥ وفي أمكنة أخرى). إلا إنه في تلك المرحلة، استنتج تشومسكي بنفسه أن الفصل بينهما كان مجرد هراء. إن الأساس الجوهري للقواعد التوزيعية، أو لنظرية شكلية بحتة ضمن " نظرية لغوية أكثر عمومية" (تشومسكي ١٩٥٧: ١٠٢) قد انهار تماما.

أين يترك ذلك مبدأ التوليدية؟ في البداية، كان الشرط الأساسي للقواعد التوليدية هو أن تولد "كامل الجمل القواعدية فقط". وكما صاغها تشومسكي في الستينيات، على القواعد أن تكون "كافية الرصد". وكمعيار أساسي للقوعد فقد حل محله "كفاية الوصف" كما لاحظنا.إلا إنه لم يزل هناك شرط حيوي وفعال وهو أنه على نظرية القواعد أن تكون "كافية التفسير" لأنه يتوجب عليها أن تفسر وتشرح كيف يمكن للطفل أن يبني القواعد ويطورها. لنفترض، عندئذ، أن سمة خاصة من مقدرة المتكلم يجب أن تعزى لمبدأ عالمي. نقول "يجب" لأنه لدينا الدليل بأن المتكلمين قد تمثلوا داخلياً مجموعة من القواعد، ولا يمكن شرح كيف تم ذلك إن لم يكن المبدأ فطرياً. لا يوجد الآن أي اعتراض إن كانت هذه القواعد، كما هي، ليست كافية الرصد. لأنه لا يوجد دور امتيازي لأي مجموعة من القواعد، أو أي مكون خاص من النحو في عزل ما هو قواعدي عما هو غير قواعدي. افترض، على سبيل المثال، أن

المبدأ يقرر مجموعة من التحويلات يمكن أن تسمح بعدة تراكيب تبدو جميعها غير قواعدية كليا؛ ولكن ربما كانت كذلك لأنه توجد هناك عدة قواعد أخرى ومبادىء، ربما غير معروفة، تمنع ظهور أو حصول الصيغ المنطقية المقابلة. أو ربما تم استثناؤها بقواعد اشتقاق الصيغ الصوتية، أو ربما وقع تفسير ذلك خارج نطاق النحو برمته. وكما أنه ليس لزاماً علينا أن نبحث في كل اللغات عامة لنعرف فيما إذا كانت سمة أو أخرى عالمية (انظر نهاية القسم الثاني) كذلك ليس علينا لزاما أن نتأكد من كل جانب أو مظهر من عقل المتكلم.

ومع نهاية السبعينيات، بدأ تشومسكي يؤكد أن العقل، كما رآه، يمتلك بناءً معيارياً. ويجب ألا يُرى بأنه كلٌ غير متجانس، بل ينبغي النظر إليه على أنه نظام من "الأنظمة الفرعية المميزة و المتفاعلة "، لكل منها ميزاته الخاصة و "منظم وفق أسس مختلفة تماما" (١٩٨٠: ٤ وما يليها، و٨٩). وقد صورت مقدرتنا اللغوية، في الأساس على أنها أحد هذه المعايير؛ ووفقا لذلك، فهي تتفاعل مع المعايير الأخرى. وبهذه الطريقة وحدها فقط يمكن شرح استخدامنا الحقيقي للغة. ولكن مع حلول منتصف العقد ، أصبحت لها شخصية معيارية، وفي ضوء تغير وجهة نظر تشومسكي حول المعنى، فقد أصبح من المعقول التمييز بين (ما يسمى، في بعض الأحيان) "الكفاءة/المقدرة القواعدية " و الكفاءة/المقدرة البراغماتية " (١٩٨٠: ٥٩). وضمن المقدرة القواعدية يمكننا أن نميز معايير أخرى، لا تميز – كما في السابق – وفق مفاهيم مسبقة من المستويات اللغوية، ولكن وفق مبادىء تنظيمية مختلفة أيضا. وهذه أيضاً "مميزة رغم تشابكها أو تفاعلها". لا يمكننا أن نعرفها مسبقاً. ولا يمكننا أن نتوقع من أي منها بأنه يجب أن يصف لغة بمستوى دقيق من الرصد.

إن فترة إعادة التعديل قد انتهت. لقد شهدت، في جزء منها رفض أفكار كانت جديدة في الستينيات وخاصة مفهوم كاتز للمكون الدلالي. ولكنها قد وضحت وضوحاً جلياً أيضا، هامشية مجموعة من المفاهيم التي كانت مركزية في الخمسينيات. أحدها كان المفهوم الأساسي للغة عند تشومسكي: وكما لاحظنا في القسم الأول، فقد استغرقت وقتا طويلا حتى تبينت أو توضحت مضامين الفكرة. ولكن مجرد أن تجسدت القواعد بأنها مقدرة المتكلم اللغوية أو "اللغة المتمثلة داخليا"، فإن "اللغة الخارجية " كما يسميها تشومسكي الآن هي مجرد

"ظاهرة تابعة أو لاحقة " في أحسن الأحوال (تشومسكي ١٩٨٦: ٢٥). وفي الستينيات استطاع تشومسكي تجسيد كامل نظريته اللغوية في فترته الأولى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن مجموعات الجمل التي سميت طبيعية أو اللغات الإنسانية كانت من "نموذج معروف محدد مسبقا" (تشومسكي ١٩٦٥ أ:٢٧)، وأثناء تركيب قواعد تولد الجمل المحكية في تجمع بشري معين، فإن الطفل يستفيد من وسيلة تقويم. وهكذا يتخيل المرء أن التدوين والقوة التوليدية للقواعد ما تزال مهمة. إلا إن هذه كانت من بقايا (آثار) التزاوج القديم بين الرياضيات واللغويات الوصفية. ولكن بعد مرور خمسة عشر عاما فقدت أهميتها عمليا.

٤. صيغة جديدة

إن النظرية المعيارية التي تطورت في الثمانينيات هي في الأساس نظرية لما أسماه تشومسكي "اللغة اللبية" (أو في مصطلحاته الأولى النحو اللبي). إنها واحدة من مجموعة براعم الأفكار التي انبثقت بشكل غير مباشر عن أعمال تشومسكي نفسه والتي من الصعب فصلها وتتبعها بانتظام. ولكي نصفها باختصار، يمكن القول أن الطفل يمتلك قواعد عالمية فطرية (القسم الثاني). وتتألف هذه القواعد من مجموعة من القواعد والمبادىء العالمية، يسمح كل منها بلغة معينة بذاتها - ونتكلم هنا أيضاً عن اللغة التي تمثلها المتكلم داخلياً - تختلف وتتنوع ضمن حدود معينة. دعنا نقترح الآن ، بشكل مجرد عن الحقائق التفصيلية لبعض اللغات، أن الاختلاف الذي تسمح به المبادىء العالمية هو محدود عندئذ، ستؤسس هذه المبادىء العالمية مجموعة من المعايير. وسيمتلك كل معيار مجموعة ثابتة من القيم، وأثناء تطوير لغته الداخلية، فإن الطفل سيختار - عبر التجربة - قيمة محددة لكل معيار. والنتيجة هي النحو اللبي الخاص به (تشومسكي: ١٩٨١: ٧) أو اللغة اللبية (١٩٨٦: ١٤٧): وهكذا نجد أن جزءاً أساسياً من معرفته يتطور فقط عبر اختيار القيم التي هي في الأساس فطرية.

إن أول استخدام لمصطلح "النحو اللبي " كان في نهاية السبعينيات، عندما كان يشير خصوصاً إلى جانب من القواعد حددته مجموعة خاصة من المبادىء (تشومسكي ١٩٧٧ ب) وقد ضمت مجموعة المبادىء المبدأ الذي بموجبه لا تستطيع قواعد تفسير المعنى اعتبار عبارة "كل الآخر" تعود على "واو الجماعة" في الجملة التالية: "قالوا أن ماري قبلت كلاً الآخر".

ومع عام ١٩٨٠، أصبحت هذه جزءاً مما سمي (مؤقتاً) بـ "مبدأ الكمدة، اللاانفاذية"، وكذلك ضمت مبدأً لا يمكن بموجبه لسلسلة مثل:

Who did he believe the story that Bill kissed? "من يصدق القصة أن بيل قبل؟" أن تشتق عبر تحويلة من بنية تحتية مثل I believed the story that Bill kissed who "صدقت القصة أن بيل قبل من" لقد عرفت هذه الحالة منذ بداية السبعينيات بـ "مبدأ التحتية"، وهكذا فقد وحدت أجزاءً كانت دلالية تقنياً مع أشياء أخرى ما زالت تفهم على أنها أجزاءً نحوية. إنها تضم في الصيغ الحالية "معايير نحوية" مثل نظرية الشرطات، ونظرية الوظائف النحوية ، ونظرية الربط، ونظرية الحالة الإعرابية، ونظرية السيطرة ونظرية التقييد (تشومسكي ١٩٨٥: ١٥٥). وكل نظرية " غاية في التجريد، ومن خلال تفاعل هذه النظريات فقط يمكن تحديد أو إقرار مجموعة من الجمل في اللغة اللبية. ولا تشكل اللغة اللبية ضمن اللغة المتمثلة داخلياً سوى جزء يسير. ولذلك فهناك تفاعل آخر بين هذه المجموعة الأساسية من الأنظمة الفرعية ومحيط ثانوي يتألف من أي شيء آخر "يضاف إلى النظام، ويمثل في الواقع في عقل /دماغ المتكلم - السامع" (تشومسكي (١٩٨٦: ١٤٧). وأخيراً، فهناك تفاعل أوسع، كما في السابق، بين الأنظمة التي تؤلف لغة المتكلم المتمثلة داخلياً، ومقدرته البراغماتية (انظر أيضا تشومسكي ١٩٨٠) ومكونات العقل الأخرى. ولو بدأنا من مفهوم بسيط وهو معرفة المتكلم باللغة، فإن اللغة اللبية تمثل جزءاً محدداً ومجرداً للغاية منها .

لقد كانت مضامين هذا المنهج الجديد واضحة جزئياً عندما تبلورت لأول مرة عام ١٩٨١، وما زالت في طور النمو من ناحية أخرى. ولكن لو بدأنا في أبسط صورة -فإنه لا توجد قواعد في النحو اللبي. ففي اكتساب اللغة ،على الأطفال تعلم خواص الكلمات منفردة، بما في ذلك الخواص التي تتعلق بالقواعد العالمية. وكذلك يجب تثبيت المعايير المختلفة. وهذا كل ما هو موجود في اللغة اللبية ؛ وعلى أية قاعدة خاصة، في تركيب معين لا تسمح به المبادىء العالمية مباشرة، أن تقع خارجها بالتعريف. ويوضح تشومسكي أن اللغة اللبية في هذا الإطار لا تشبه القواعد التوليدية كما كان يتصورها في أيامه الأولى. فالقواعد العالمية، كما لو

أنها ، هي نظام "مولف جزئيا" (تشومسكي ١٩٨٦: ١٤٦). وحالما يولفه الطفل بشكل كامل، "يبدأ النظام بالعمل" وتولد اللغة اللبية .

إن لم يكن هناك قواعد ، لن يكون هناك نماذج لهذه القواعد . وخاصة أنه لا يوجد هناك تمييز بين قواعد يمكن أن توصف بأنها نحوية وأخرى دلالية. أما المبادىء العالمية فستبقى تفرق بين مستويات التمثيل المختلفة؛ وفي الأعمال المؤخرة ما زالت هذه التمثيلات تسمى بطرق تعود على نموذج النحو وعلم الدلالة الذي كان سائداً منذ عشر سنوات. إلا أنها كانت متشابهة أو من نفس النوع منذ عام ١٩٨١. فجملة مثل Who did you see?، "من رأيت" ؟ لها بنية أولية على نحو : You saw who "رأيت من" وتُمثل هذه بشكل طبيعي بالطريقة نفسها كالبنية التي تنتج عندما تقدم who "من" ونحصل على: (Who you saw). وقد عُرفت هذه التمثيلات منذ نهاية السبعينيات كالبنية - D، وبنية - S على التوالي. وهناك الآن مستوى ثالث وهو LF وهو مصطلح قصد منه تشومسكي أن يعني "الصيغة المنطقية" (تشومسكي ١٩٨٦: ٦٧). ولكن لا يوجد اختلاف أساسي هنا أيضاً. فتمثيل LF، كما تسمى الآن، هو من نفس نوع البنية - D والبنية - S. وفي الواقع، ربما كانت في بعض الحالات مشابهةً تماماً لأي منهما (انظر، على سبيل المثال، تشومسكي ١٩٨٦: ٧٥ وما يليها) أو كليهما. وما سمي في الأصل الصيغة المنطقية (انظر، تشومسكي ١٩٧٦: ٩٩) يسمى الآن تفسير تمثيل LF، أو تفسير LF (تشومسكي، ١٩٨٦ :٧٦ وفي أماكن أخرى من الكتاب).

ربما لم يكن معنى ذلك واضحاً بشكل كامل. فلقد وُصف LF على أنه مستوى نحوي (على سبيل المثال، ١٩٨٦: ٨٤)، وعلى ما يبدو، فإن اللغة اللبية بكاملها مهتمة بالنحو بالمعنى التقليدي. إلا إنه ليس نحواً توزيعياً بالطبع، أو بقايا النحو التوزيعي الذي عاش في الستينيات. إلا أن نظرية النحو اللبي تسمح بمجموعات معينة من التراكيب، تُمثل جميعها بواسطة LF والبنية- د والبنية - س. إن اختيار المعايير سينتقي مجموعة محددة لأية لغة خاصة. وفي الوقت نفسه فإن الكلمات الأحادية ستمتلك خواص خاصة بها. فعلى سبيل المثال، إن "كلا الآخر" ضمير تبادل ولذلك، فإنه يستطيع فقط تلبية شروط التراكيب التي تسمح المبادىء العالمية بربطه مع محال عليه في صيغة الجمع. إن الخواص مثل "التبادلية" هي تقليديا دلالية، ويصف

تشومسكي المعجم وفق "الاختيار الدلالي" (١٩٨٦: ٨٦). عدا ذلك، وما وراء اللغة المتمثلة داخلياً كاملة، فإنه يمكن اعتبار علم الدلالة على أنه علاقة بين اللغة والعالم (٤٤) أو بين اللغة والأنظمة الإدراكية الأخرى (٦٨). أما ضمن اللغة، فإن التأويل الدلالي جوهري بالنسبة للنحو وليس منفصلاً عنه. لقد كانت هذه وجهة النظر قبل التوزيعية، وربما بدا الأمر كذلك لتشومسكي الآن.

و يتعلق تضمين آخر كان واضحاً في وقت مبكر وله مكانة خاصة في برنامج تشومسكي، بامتداد نظرية القواعد العالمية للغات الأخرى غير الإنجليزية. فكما لاحظنا في القسم الثاني،فإن دراسة نظام بمفرده يمكن أن تكون دراسة مفيدة تعليمياً. وقد أكد تشومسكي هذه النقطة في منتصف السبعينيات (١٩٧٦: ١١٨)، ورأى نفيها بعد خمس سنوات بأنه غير عقلاني (١٩٨١: ٦). ولكن أصبحت الاقتراحات في هذه الفترة معقدة، وشكل اقتصارها على الإنجليزية، الذي كان تاماً حتى بداية الثمانينيات، "قصوراً خطيرا" (١٩٧٦: ١١٨) فماذا لو افترضنا أننا طورنا نظرية على اللغة الإنجليزية، تتمتع بمقدرة رصدية واسعة ووجدنا بعد ذلك أن هناك لغات أخرى تحتاج لنظرية مختلفة فلربما امتلكت بعض المبادىء المشابه لتلك التي في الإنجليزية أو ربما احتاجت لمبادىء مختلفة تماماً أو كلية؛ عندها لا نرغب في القول أن كلتا النظريتين على خطأ، لأن معطياتنا الأولية التي دعتنا منطقيا لافتراض أن هذه التراكيب كانت فطرية أصبحت تحتاج إلى تفسير وشرح. إلا إنه إذا كانت هذه التراكيب فطرية فيجب أن تكون فطرية بشكل عالمي. فكيف، عندئذ، يمكن لكل من النظريتين أن تكونا على صواب؟

إن مبدأ المعايير يقدم ردا فوريا على ذلك . لنفترض أن المبدأ A الذي ينطبق على مجموعة من اللغات، يختلف في مظهر واحد فقط عن المبدأ B، الذي ينطبق على مجموعة أخرى. يمكننا القول، عندئذ، أن A و B يمثلان مبدأ واحدا إلا إنه يحتوي على متحول بقيمتين متبدلتين. ففي مخيلة تشومسكي، يمكن توليفه في طريقتين، وفي ضوء المجموعات المختلفة من الصيغ التي يتعرض إليها الأطفال، فإن بعضهم يولفه في طريقة، ويولفه البعض الآخر بالطريقة الثانية. لنفترض أن الفروقات بين اللغتين كانت أكبر . وأكثر من ذلك، يمكن للمبادىء أن تتضمن متغيرات أكثر. وفي الحالة القصوى، إن تطبيق مبدأ في أي شكل ربما كان معياراً.

يمكن لذلك المعيار أن يكون فعالاً للغاية في شكل محدد في اللغة اللبية A، بينما يولف بطريقة مختلفة في مكان أو أكثر في اللغة اللبية B. بينما يكون عديم الفعالية مطلقاً في اللغة اللبية C، إلا إن ذلك أيضاً يمكن أن يكون إحدى التوليفات المختلفة التي تسمح بها القواعد العالمية. يمكننا أيضا أن نفرض أيضاً ما يسمى في سياق آخر "العالميات الاستتباعية" (انظر الفصل التاسع لاحقا). فإذا ولفت لغة لبية بطريقة ما عند نقطة A يمكنها، بعد ذلك أن تولف بطريقة كذا وكذا عند نقطة B. إن كان مبدأ A يعمل ومبدأ B لا يعمل: أو إن كان يعمل هو الآخر، عندئذ، فإن معيار X يجب أن يحصل على قيمة q وهكذا دواليك. ولذلك يمكن أن يبدأ الطفل بتثبيت قيم معيار أساسي جداً. وربما حدد سمة واضحة للجمل التي يتعرض لها ذلك الطفل. وربما لحقت قيم بعض المعايير الأخرى بشكل آلي ، بعضها دقيق للغاية، لدرجة ربما كان من الصعب تثبيته مباشرة.

وهكذا، يمكن لنظرية القواعد العالمية أن تضم تصنيفاً للغات. وخصوصاً أن تشومسكي والموجة الحالية من أتباعه يتكلمون عن الطراز الترتيبي" وغير الترتيبي " (تقليدياً اللغات ذات الترتيب الحر للكلمات وذات الترتيب الثابت أو اللغات التي تسمح "بإسقاط الحال" (تلك التي تستخدم ضمير الفاعل في حالة التأكيد فقط). إلا إن الدافع ليس تصنيف الأنظمة على نمط تصنيف النباتات للدراسة العلمية. بل إن الدافع هو شرح كيف يمكن لأية لغة متمثلة داخلياً، مهما كان نوعها، أن تتطور. ومرة أخرى، يمكن للمتكلمين (وفقاً لتشومسكي) أن يدلوا بأحكام تبدو للوهلة الأولى غير ممكنة التعليل أو التفسير. حيث يقول على سبيل المثال: يمكن أن يرى المتكلمون أن "من خلال التفكير والتهيئة" أن جملة:

John is too stubborn to expect anyone to talk to "إن جون عنيدٌ لدرجة لا يتوقع أن أحداً سيكلمه" هي جملة تعني: أنه بسبب عناده لا يتوقع أي شخص لا على التعيين سيتكلم مع جون. في حين أن جملة: * John is too stubborn to visit anyone who talked to هي مجرد هراء. (١٩٨٦: ١١). إنهم يعرفون مثل هذه الأشياء"بدون أي تعليم أو حتى دليل مباشر"، كيف يمكنهم معرفة ذلك إن لم تكن هذه المبادىء فطرية؟ وفي العديد من الحالات التي درست بدقة في الأعمال المؤخرة (استشهد من تشومسكي الآن١٩٨١: ٣) "إنه من المؤكد

تقريبا أن الخواص الأساسية للقواعد المحققة يقلل من شأنها جوهريا الدليل المتوفر لمتعلم اللغة، ولذلك يجب عزوها أو إرجاعها إلى القواعد العالمية نفسها".

فلو رفض المرء هذه المناقشة الأساسية، فإن نظرية اللغة اللبية ستبدو ضعيفة. ومن الناحية الأخرى، فإن قسماً كبيراً من اللغة المتمثلة داخلياً يقع خارجها. أما القسم الثانوي فسيحتوي بوضوح على"الاستثناءات"، مثل الصرف الشاذ، أو المصطلحات (انظر ثانية، تشومسكي ١٩٨٦: ٤٧) وسيحتوي أيضاً على التراكيب الخاصة التي تتخذها بعض الكلمات. فعلى سبيل المثال، لا يمكن للفعل "يريد" want أن يتبع بجميلة تبدأ بـ that مثل

*The students want that Bill visit Paris إلا إنه على أية حال، يمكننا "أن نفترض أن ذلك مجرد "فجوة عرضية تعكس الخواص التي ليست قسماً من القواعد اللبية". وعلى الرغم من أن التركيب ليس "اصطلاحيا في اللغة الإنجليزية " إلا أنه "قواعدي تماما في المستوى المناسب من التجريد" (تشومسكي ١٩٨١: ١٩)، وفي هذه الحالة، فإن إبطال القواعد اللبية، من خلال القسم الثانوي يبدو سخيفاً. ولكن من السهل تصور حالات يمكن أن يحكم عليها بجدية أكبر. تخيل أن هناك مبدأ يلقى دعماً من تشكيلة واسعة من اللغات، إلا أنه لا يعمل في لغة واحدة. يمكننا تأسيس معيار ليغطي ذلك، ولكن قد لا نرغب في فعل ذلك، لأنه لا يمكن للقواعد العالمية أن تمثل تراكما آليا لكل شيء يجب أن نفرضه على القواعد الخاصة. والبديل، أن نقول أن ذلك المبدأ قابل للعمل عالميا، ولكن خارج القواعد اللبية ؛ وعلى متكلمي هذه اللغة أن يكونوا قد تمثلوا داخلياً قواعد ثانوية تنفي (بشكل استثنائي) هذا المبدأ.

ومن الناحية الأخرى، يمكن إضعاف نظرية اللغة اللبية نفسها. تخيل أن للمعيار A ،بصورة عامة، قيمة q يأخذها إذا أخذ المعيار B قيمة r، ولكن مرة أخرى، هناك لغة واحدة لا تنضوي تحت هذه المعادلة. يمكننا بالطبع القول أن مضامين ذلك لا تمثل جزءاً من القواعد العالمية. ولكن يمكن أن نكون مترددين، لأن أي مضمون لذلك يبسط مهمة الطفل. والبديل القول أن ذلك معطىً فطرياً في الحالة العادية، أو في مصطلح تشومسكي في الحالة غير الموسومة . وتمثل اللغة الاستثناء حالة موسومة ، حيث يجبر الأطفال من خلال الحقائق، أثناء توليف اللغة اللبية على إعطاء قيمة R للمعيار B ولكن إعطاء A قيمة مختلفة أخرى. وهكذا

توجد لدينا نظرية تحتوي على البدائل، ويمكن أن تستوعب، على الأقل، نوعين من الاستثناءات. ولو اعتبرت مجرد نظرية للمظاهر اللغوية العالمية، فهناك خطر من أن تكون محصنة ضد الدليل المعاكس.

ولكن لو قبل المرء حجة تشومسكي الأساسية، فلن تشكل أي من هذه الصعوبات مسألة أساسية، لأننا نفترض مرة أخرى أن شيئاً ما هو فطري لا لأننا وجدناه عالمياً، ولكن لأننا لا نرى أية وسيلة أخرى يمكننا تعلمه من خلالها. دأبت في هذا النقاش ،من وقت لآخر، على استخدام كلمة "يتعلم" كما يفعل تشومسكي في بعض الأحيان. إلا أن تعلم الطفل اللغة لا ينظر إليه كتعلم بالمعنى العادي للكلمة؛ ولا يشبه أيضا تركيب اللغوي لنظرية لغوية كما اقترح تشومسكي في البداية. فقد قارن في منتصف السبعينيات، اكتساب "البنى الإدراكية " بتطور الأعضاء الجسمية (نجد ذلك خاصة في تشومسكي ١٩٧٦ : ١٠وما بعدها). وقد وصفت اللغة نفسها، في البداية ضمن علامات اقتباس، "كعضو عقلي" (٣٦). إنه لا يمكن تعلمها بل تنمو في رأس الطفل من خلال تفاعل مركب بين البنى المحددة وراثيا والمدخل البيئي من خلال الأحاسيس. وكما لاحظ تشومسكي فيما بعد، إن الافتراض بأن للعقل بناءٌ وراثيٌ فطريٌ "يتناسب تناسباً طبيعياً مع الاعتقاد أنه معياري (١٩٨٠: ٤٠وما يليها). ولكل معيار خواصه البنيوية مثل الذراع وحاسة البصر وهكذا دواليك.

و لا توجد الآن نظرية عضو اللغة إلا بشكل واهٍ للغاية. وتقتصر دراستها التجريبية على اللغة اللبية، وما تزال مثالية جداً ، والعديد بما في ذلك الكاتب الحالي، غير مقتنعين بوجودها أبداً. ولكن كنتيجة للنقلات العديدة المتعاقبة في تفكير تشومسكي التي تخلى فيها عن معظم الأفكار التي كانت أساسية في فترته الأولى، وقسم كبير مما بدا أساسيا في فترته الثانية، فإن لديه على الأقل نموذجاً فكرياً مناسباً لإيصاله لغاياته وأهدافه.

REFERENCES /المراجع

Bloomfield, L. (1933) *Language*, Holt, New York.

Bloomfield, L. (1934) Review of Havers, *Handbuch der erklarenden Syntax*, *Language*, 10: 32-9. Reprinted in Hockett 1970: 281-8.

Chomsky, N. (1957) *Syntactic Structures*, Mouton, The Hague.

Chomsky, N. (1959) Review of Skinner, *Verbal Behavior*, *Language*, 35:26-58.

Chomsky, N. (1965a) *Aspects of the Theory of Syntax*, MIT Press, Cambridge, Mass.

Chomsky, N. (1965b) '*The formal nature of language'*, in Lenneberg, E., Biological Foundations of Language. Reprinted in Chomsky 1972a:115-60.

Chomsky, N. (1966a) *Topics in the Theory of Generative Grammar*, Mouton, The Hague.

Chomsky, N. (1966b) *Cartesian Linguistics*, Harper & Row, New York.

Chomsky, N. (1968) *Language and Mind*, Harcourt Brace, New York.

Chomsky, N. (1972a) *Studies on Semantics in Generative Grammar*, Mouton, The Hague.

Chomsky, N. (1972b) *Language and Mind*. Enlarged edition (of Chomsky 1968), Harcourt Brace Jovanovich, New York.

Chomsky, N. (1973) 'Conditions on transformations', in Anderson, S. and Kiparsky, P., *A Festchrift for Morris Halle*. Reprinted in Chomsky 1977a:81-160.

Chomsky, N. (1975) 'Conditions on rules of grammar', in Cole, R., *Current Issues in Linguistic Theory*. Reprinted in Chomsky 1977a:163-210.

Chomsky, N. (1976) *Reflections on Language*, Maurice Temple Smith, London.

Chomsky, N. (1977a) *Essays on Form and Interpretation*, Temple Smith, London.

Chomsky, N. (1977b) 'On wh-movement', in Culicover, P. W., Wasow, T. and Akmajian, A. (eds), *Formal Syntax*, Academic Press, New York: 71-132.

Chomsky, N. (1979) *Language and Responsibility*, based on conversation with Ronat, M. translated Viertel, J., Harvester Press, Hassocks, Sussex.

Chomsky, N. (1980) *Rules and Representations*, Blackwell, Oxford.

Chomsky, N. (1981) *Lectures on Government and Binding* Foris, Dordrecht.

Chomsky, N. (1986) *Knowledge of Language*, Praeger, New York.

Chomsky, N. and Halle, M.(1965) 'Some controversial questions in phonological theory', *Journal of Linguistics* I:97-138.

Chomsky, N. and Halle, M.(1968) *The Sound Pattern of English*, Harper & Row, New York.

Chomsky, N., Huybregts, R. and van Riemsdijk, H. (1982) *The Generative Enterprise*, Foris, Dordrecht.

Gulicover, P. W. (1976) *Syntax*, Academic Press, New York. (New edn 1982.)

Greenberg, J., (ed.) (1963), *Universals of Language*, MIT Press, (Cambridge, Mass.

Halle, M. (1961) ‘On the role of simplicity in linguistic descriptions’, in Jacobson, R, (ed.), *Structure of Language and its Mathematical Aspects*, American Mathematical Society, Providence: 89-94.

Harris, Z. S. (1951) *Methods in Structural Linguistics*, University of Chicago Press, Chicago.

Hockett, C. F. (1948) ‘A note on “structure”’, *International Journal of American Linguistics*, 14: 269-71.

Hockett, C. F. (ed.) (1971) *A Leonard Bloomfield Anthology*, Indiana University Press, Bloomington.

Jespersen, O., (1924), *The Philosophy of Grammar*. Allen & Unwin, London.

Katz, J. J. and Fodor, J. A. (1963), ‘The structure of a semantic theory’, *Language*, 39:170-210.

Katz, J. J. and Postal, P. M. (1964), *An Integrated Theory of Linguistic Descriptions*, MIT Press, Cambridge, Mass.

Lees, R. B. (1957) Review of Chomsky 1957, *Language*, 33:375-408.

Liddell Hart, B.H. (1970), *History of the Second World War*, Cassell, London.

Matthews, P. H. (1967) Review of Chomsky 1965a, *Journal of Linguistics*, 3: 119-52.

Newmeyer, F. J. (1980) *Linguistic Theory in America: the first Quarter-century of Transformational Generative Grammar*, Academic Press, New York.